

فيروز عادل
حرية
رواية

حرية

رواية

حرية

رواية

الكتاب: حرية
المؤلف: فيروز محمد عادل
تصميم الغلاف: رنا نوار
رقم الايداع: 2014\23267
الترقيم الدولي: 978-977-6495-04-3

*****

دار الميدان للنشر و التوزيع – جمهورية مصر العربية
هاتف:0552311408 / 01211112057
Website:www.daralmidan.com
E-mail: almidan@daralmidan.com

الميدان للنشر والتوزيع

حرية

رواية

فيروز عادل

حرية

-1-

في عام 1984 ولدت أنا، حرية طفلة سمراء، تمتلك عينين واسعتين بلون الكرامل، شفتين ممتلئتين، بهما جاذبية خاصة، ووجه ملائكي، يحمل جميع معاني البراءة، فرحت أمي كثيراً بي، وحزن أبي بمقدار فرح أمي؛ لأنه ابتلي بفتاة أخرى يحمل همها حتى مماته، كنت أنا ثاني ابنة لديه، ولم يكن يملك سوى رجل واحد، أخي الأكبر .

قبل أن تولد أي فتاة في عائلتي، تكون حياتها مكتوبة بين يد أهلها، ولا فتاة تخالف ما كُتب لها، وهو أن تكبر تتزوج من ابن عمها، وإن لم تتزوجه، فلا داعي من زواجها، أنا مثلهم تماماً، ومصيري هو فارس ابن عمي، وزوجي المستقبلي، إن لم يحدث لي شيء يغير من هذا الواقع .

مررت بطفولة طبيعية مثل باقي فتيات عائلتي، إلا أنني كنت أتميز عنهم بأمر، هو تفوقي الدراسي الملحوظ .

*****

استيقظت ذات يوم على صراخ حاد، عندما كان عمري تسع سنوات، عندما خرجت لأرى ما سبب تلك الضجة، علمت بموت ابنة عمي، سمعت أنها توفيت بسبب نزيف حاد؛ بسبب عملية الختان، لم أكن أعرف ما هو إلى أن سمعت من صديقاتي الفتيات، عن ذلك اليوم الذي تأتي فيه الداية، ومعها امرأتان، تمسكان بالفتاة، يضعانها على الفراش بأمر منها، بأن تفتح رجليها؛ لكي تريا ذلك الشق

الغريب في أجسامهن، وتزيلا قطعة منه بأداة حادة، لم أكن أعرف ما فائدة هذا الأمر، لكني كنت مدركة بأنه مؤلم للغاية، ويجب على كل فتاة في قريتي أن تمر به.
توالت الأيام، وشعرت بهذا الألم، أنا أيضًا كبرت، وزاد تفوقي الدراسي، حصلت على الإعدادية بمجموع 98% وعندها قرر والدي أنه قد حان الوقت لكي أتزوج، لكن أمي رفضت، وأصرت أن أكمل تعليمي، وأنهي الثانوية العامة؛ مما أحدث خلافات بينهما، تدخل المدرسون وأقنعوا أبي أنه ليس هناك ضرر من أن أكمل تعليمي، وافق أبي على مضض بعدما استشار فارسًا، وأعطاه الموافقة، وأنا كنت فرحة للغاية من هذا التطور، صرت أحلم بالكلية، وأنني سأثبت لأبي أنني أفضل من أخي، وسألتحق بكلية الإعلام، وأصير من المشاهير، وبعد مرور ثلاث سنوات، ومع حصولي على مجموع يؤهلني للالتحاق بكلية الإعلام، جامعة القاهرة، تم تحديد موعد زفافي بعد شهرين من زفاف أختي الكبرى فريدة، فرحت لأختي كثيرا، وحزنت على أحلامي الضائعة، لكني انشغلت عن هذا الأمر في التحضيرات اللازمة لزفاف أختي من الذهاب إلى المحلات؛ لشراء الملابس اللازمة، واختيار الفستان، وتجهيز الأثاث، وكل هذه الأشياء، ساد في بيتنا أجواء الفرح والسعادة، وهذه الابتسامة المرتسمة على وجه أختي، التي لم تفارقها وهي تختار ذلك القميص الأبيض مع المنديل

الذي سيحمل شرفها؛ ليراه كل من في القرية، وجاء موعد الزفاف، ارتدت أختي الفستان الأبيض، وانطلقت الزغاريد المصاحبة لدموع أمي، وانتشرت أعيرة النيران في جميع القرية، جاء العريس، وحملها إلى بيت الزوجية، وذهبنا جميعًا معها؛ لكي نشهد على شرفها مع عائلة العريس. دخلت أنا الغرفة مع أختي؛ لأزيل عنها الفستان، وأساعدها في ارتداء القميص، انتهيت، دخلت أمي، قالت فريدة:

-أنا خائفة يا أمي.

-لا تخافي يابنيتي هذه سنة الحياة.

-ماذا أفعل يا أمي؟

-لا تفعلي شيئًا، فهو من سيفعل.

وضحكت أمي، ثم خرجنا جميعًا، ودخل العريس، وانتظرنا في الخارج في انتظار التمام، كعادة جميع العائلات هنا، حتى سمعت تلك الصرخة الصادرة من فريدة، فأنا أعرف تلك الصرخة جيدًا، فأنا سمعتها عدة مرات، عندما كان ينهال أبي علينا بالضرب، فخفق قلبي بشدة، نظرت إلى أمي. قالت: لا تقلقي واجلسي، مرت بضع ثوان، حتى تعالت الأصوات الصادرة من الغرفة من صراخ أختي، وصوت أحمد وشتائمه، ففزعت أمي، وانطلقت إلى الباب المغلق، وأخذت تنادي: فريدة فريدة أجيبي يابنيتي. هل أنتي بخير؟ ماذا يحدث في الداخل؟ فتح أحمد الباب،

وقال: لا أريد بضاعتكم الفاسدة، لقد حملتم إلى بيتنا العار، فنظرت بداخل الغرفة، لم أجد فريدة أختي الباسمة دائمًا، وجدت وجها مشوهًا من الضرب، وأضلعًا مكسورة. ذهبت مسرعة إليها، ما بك يافريدة؟ أجيبيني! لم تكن تقول سوى أن أحدًا لم يلمسها قط سواه، وأخذت تكرر ذلك مرارًا وتكرارًا حتى دخلت أمي، أخذتها هي وأبي، وذهبنا جميعًا إلى الطبيبة، التي فحصتها، وقالت: إنها من ضمن حالات قليلة مرت عليها. إن فريدة عذراء، لكن غشاؤها غشاء مطاطي، لا يزول إلا عند الإنجاب. قالت أيضا: إنه يجب كتابة محضر بالعنف الذي لاقته فريدة. رفض أبي، اصطحبنا فريدة إلى البيت وهي صامتة لا تتكلم. مر أسبوع دون أن تتكلم، إلى أن جاء أحمد، وطالب بزوجته، لم يوافق أبي في البداية، لكن ما باليد حيلة، هي زوجته، ومن العار أن يطلقها بعد مرور أسبوع على الزواج، ذهبت معه دون إرادتها. أثناء زيارتي لها سألتها كيف يعاملها؟

-لا أعرف ماذا أقول ياحرية.

-فريدة، أنا أختك أجيبيني.

-أنا لا أطيق ملامسته لي بعد ما حدث، وأكره النوم معه في فراش واحد، ولاحظ هو ذلك، أصبح يستخدم العنف معي.

-ماذا! كيف يستخدم العنف معك هذا الأبله؟!

-لا أعرف كيف أقولها.

-قولي لا تخجلي مني.

انطلقت فريدة في البكاء، وقالت: يغتصبني ياحرية.

-كيف ذلك إنه زوجك؟!

-عندما أتمنع عن ممارسة الجنس معه، لا يلاطفني كي أستجيب، بل ينهال على جسدي بِالضرب، يستخدم أبشع الألفاظ، ينام معي بعنف، يترك أثرا على جسدي، لا أعلم ماذا أفعل؟

-استجيبي يافريدة له.

-حاولت، ولكنه يستمتع بالعنف.

-يجب أن تخبري أمي.

-لا أستطيع.

-لماذا؟

-هكذا، لا أستطيع.

دخل أحمد، وأمرها أن تضع الطعام، فخرجت أنا حزينة على ما حدث لأختي، عندما دخلت إلى المنزل، أخبرت أمي بما قالته فريدة، حزنت أمي للغاية، وأخبرتني أن مصيري لن يكون كمصير أختي مهما حدث، أقسمتْ أنها ستجعلني أكمل تعليمي، ستقنع فارسًا بذلك؛ لأنه يحبني كثيرا، وكلما سنحت الفرصة له، يخبرني عن مدى حبه لي، وأنه سيفعل المستحيل لإرضائي، بدأت المحاولات في إقناع أبي ليتركني أنهي تعليمي، رفض أبي رفضًا تامّا إلى أن قالت

له أمي ما يحدث لفريدة، وجاء فارس، وأقنعه هو بالتالي، وافق أبي على مضض، فرحت أنا كثيراً، سأذهب إلى القاهرة، عاصمة مصر المليئة بالمفاجآت، بل وسأعيش فيها أيضًا، صرت أحلم بيوم ذهابي إلى هناك؛ لأرى كيف تبدو.

-2-

كان يجب علي أن أسافر إلى القاهرة؛ لأرى جامعتي، وألتحق بكلية الإعلام، وأسجل نفسي في المدينة الجامعية لأسكن هناك؛ نظرا لبعد محافظتي عن القاهرة، وقد وافق أبي على المدينة بعد كثير من البكاء، ووعد من أخي الملتحق بكلية الحقوق هناك أن يراعيني، وأن أكون تحت عينيه دائمًا، كان أبي يؤجل هذا اليوم الذي سأسافر فيه، كأنه لا يريده أن يأتي أبدًا، لكن بعد مرور بضعة أسابيع، أدرك أنه لا مفر من ذلك، أخبرني يوم السبت مساء، أنني سأسافر إلى القاهرة في الصباح الباكر برفقته، فرحت كثيرا جدًّا، قضيت طوال المساء أفكر ماذا يجب أن أرتدي؟ وأتخيل ماذا سيحدث في اليوم التالي، كنت أنتظره بشوق، وكأنه العيد في الصباح، أخرجت ملابسي التي وقع الاختيار عليها، وكانت عبارة عن تنورة واسعة، لونها أسود؛ نسبة لرفض أبي التام لارتداء البنطال؛ لأنه يخص الرجال فقط، وبلوزة حمراء، وطرحة اللونان معًا، وأعددت الأوراق اللازمة، وتوكلت على الله، وخرجت برفقة أبي، واستقللت المواصلات.

*****

لم أعرف أننا وصلنا القاهرة، إلا عندما وجدت السيارة التي أستقلها محشورة بين عديد من السيارات، سحابة سوداء تمر فوق روؤسنا، أناس من جميع الأشكال، ثم ركبت هذا

الشيء، الذي يسمى المترو السريع، عندما دخلت عربات المترو كدت أن أختنق من الازدحام الشديد، عندما تأقلمت مع الوضع، نظرت في وجوه من حولي بتمعن، وجدت في كل وجه من هذه الأوجه حكاية لا أعرف محتواها، ولكني أعرف أن عنوانها التجهم والكآبة، خرجت في محطة جامعة القاهرة؛ لأجد نفسي أمام الباب المؤدي إلى كلية الإعلام، دبت الحماسة بداخلي، شرعت في تأمل المكان، أخبرت أبي أنني أريد مشاهدة المكان، فرد وقال: أمامك العديد من السنوات لتشاهديه، أما الآن يجب أن ننتهي من أوراقك أولًا، مر اليوم من الجامعة إلى المدينة الجامعية، وهكذا إلى أن قرروا أن أتسلم غرفتي بعد أسبوع من الآن.

عدت أنا وأبي إلى المنزل، أخبرت أمي بكل ما رأيت، وطلبت منها أن تشتري لي ملابس جديدة، وحقيبة وأشياء أخرى، مر الأسبوع سريعًا قبل سفري بيوم، جلست أمي بجواري.

-حرية.

-نعم يا أمي.

لقد أعطيتك الثقة الكاملة ياابنتي، فأرجو منك ألَّا تخونيها.

-لا تقلقي يا أمي، ثقتك في مكانها.

-لو كان بيدي، ما كنت أرسلتك إلى تلك المدينة أبدًا، ولكني أريد أن أثبت لجميع الرجال هنا، أن المرأة تستطيع

أن تكون أفضل من الرجل إن أتيحت لها الفرصة، وأنا مؤمنة بك ياحرية.

-شكراَ لك يا أمي فأنا أحبك كثيراَ.

-أنا أحبك كثيرا ياابنتي وأبوك يحبك أيضًا، ولكنه خائف عليك كثيراَ، فحافظي على نفسك من أجله يا بنيتي.

-لا تخافي يا أمي. سأتركك الآن؛ لتنتهي من تحضير ثيابك.

في تلك اللحظة، رميت نفسي في أحضانها؛ لأستمد الأمان منها، وآخذ من بعض قوتها؛ لتساعدني في تجاوز الأيام القادمة، أخبرتها أنني سوف أشتاق إليها كثيراَ، خرجت أمي، جلست بمفردي بعدما ذهبت أمي، ودار في بالي، هل يمكن أن أحقق ما تريده أمي؟! فدخلت صديقة عمري شمس، عند ذلك شرعت في ضربي؛ لأنني سأتركها وأذهب بعدما كنا في كل كارثة بجوار بعضنا البعض، هي صديقتي من الحضانة حتى الآن، كانت معي في وقت فرحي، وكظلي وقت أحزاني، ودائمًا تحمل اللوم عن مصائبي، هي أكثر من أخت بالنسبة لي، أخت لم تنجبها أمي.

-توقفي.

- لن أتوقف، فأنا غاضبة منك كثيراَ.

- لماذا أنت غاضبة ياحلوتي؟!

- أتسألين لماذا؟! لأنك ستبتعدين عني، ونحن لم نفترق منذ أربعة عشر عامًا.

- نحن لن نفترق، أنت دائمًا في قلبي، بجواري دائمًا؛ كي تمنعيني من ارتكاب المصائب، وإذا لم أقتنع، تفعليها معي، فأين سأجد صديقة مثلك في أي مكان؟!

-لقد تأثرت، ولم أعد غاضبة، الآن هيا؛ لننتهي من تجهيز حقائبك، ولنر ماذا سترتدين وأنت ذاهبة، هيا بنا، صحيح حرية: هل ستتحدثين إلى فارس قبل ذهابك؟

- أمممممم لا أعلم!

-تحدثي معه ياحرية، إنه يحبك، ومؤكد أنه سيشتاق لك.

-لكني لا أحبه ياصديقتي، لقد حاولت كثيرًا أن أحبه، لكني لا أستطيع.

-إنه خطيبك ياحرية، وستتزوجان قريبًا. يجب أن تتأقلمي على ذلك.

-أنا أعلم، سأخبرك سرًا عندما أسافر، سأزيل الدبلة من أصبعي.

- أجننتي؟! لماذا؟

-هكذا. أنا لا أريدها في أصبعي، فقد سئمت منها.

-لا أعلم إلى متى سأتحمل جنونك! هيا لننتهي من الحقيبة.

شرعنا في إنهاء الحقيبة، ونحن صامتتان من الخارج، ولكننا نختنق من الضوضاء بداخلنا، فكنت أفكر فيها! كيف هي لم تزل تبتسم حتى الآن رغم كل ما عانته!

هي تزوجت في سن الخامسة عشرة، وكانت سعيدة جدًّا في بادئ الأمر، فكانت تقص لنا، كم هو حنون عليها، كم كان رائعًا معها في ليلة الزفاف، وأن أفضل أوقاتها معه، حين يأخذها في أحضانه، وتنطلق أصابعه بشعرها! كادت تطير من الفرحة حينما حملت منه، وولدت طفلها، كان يجول في بالي وقتها، كيف يمكن لطفلة أن تربي طفلًا! ولكن شاءت الأقدار، ومات طفلها في شهره الثاني، كادت تموت وراءه، ولأنها قوية، مرت من هذه المرحلة بنجاح، لكن علاقتها بزوجها لم تمر، وأصبحت تسوء بمرور الأيام، إلى أن توقف عن لمسها أو الاقتراب منها؛ لأنه يلقي اللوم عليها بموت ابنه، تزوج بأخرى، وصارت هي خادمة تحت قدميه هو وزوجته الجديدة، وتتمنى يومًا أن يكونا كما كانا، تتمنى لمسة من يديه، نادت علي، فخرجت من شرودي أجبتها:

-ما الأمر؟ بماذا تفكرين؟

-أفكر في كم أنا أحبك، وأن الحياة لكانت لا تُطاق لو ما كنتي بجواري ياحلوتي.

مر الوقت سريعًا، وذهبت شمس إلى منزلها. استلقيت على الفراش لعلي أنام، لكن كالعادة اليومية لي، تنطلق أفكاري كالحصان الجامح؛ ليغزو جميع أجزاء عقلي، ولكن الفكرة المسيطرة على رأسي اليوم فارس، أخذت أفكر عن كيفية معاملته لي، وهل يجوز بعد مايفعله من أجلي أن أزيل

الدبلة بمجرد خروجي من مدينتي؟! ولكني لا أحبه ولا أتخيل يومًا أن أكون بجواره على فراش واحد، وأن تلمسني يده، فهو ليس من أريد، ولكني لم أجد من أريده حقًّا حتى اليوم، فأنا أفكر دائمًا في رجل يشعرني بمعنى الحب، رجل يمزق قلبي من الخفقان عندما أسمع صوته، فما بالك عندما يقول أحبك، فلا أتعجب حينها من أن أصاب بذبحة صدرية! رجل عندما ينظر لي، أشعر بأن الله لم يخلق تلك العينين إلا لأن أنظر لها، ومع فارس لا أشعر بما أريد، رغم أنه يلبي ما أريد قبل أن أبوح به، يتمنى نظرة من عيني؛ لتقتله، ولمسة من يدي؛ لتحييه، لا أستطيع أن أفكر بأن جسدي وجمالي سيكون لرجل خاضع لمجتمع شرقي، لا يرى في المرأة إلا جسدها الذي يسبه في النهار، ويركع أمامه ليلًا، لا يريد إلا امرأة جاهزة لخدمته دائمًا، متاحة له في الفراش متى شاء، حتى إن لم يكن لديها رغبة فيه لأي سبب كان.

رغم أن الحرية لم تخلق إلا من أجلي أنا، الأنثى المقيدة في مجتمعنا الشرقي، بحكم العادات، والتقاليد البالية، فكيف تريد قمع أنثى؟! وكيف تريد مني أن أتقيد بسلاسلك والحرية أنثى! والثورة أنثى! وأنت لم تأت إلى هذه الحياة إلا من رحم أنثى، وستكبرها وأنت في أحضان أنثى، فكيف تطلب مني أن أموت تحت قدميك وأنا الحياة!

-3-

كنت خائفة في بادئ الأمر، بألا تحبنني من معي في غرفة المدينة، وألا أتفق معهن، علمت أن معي فيها ثلاثًا أخريات، لكن بعدما تسلمت غرفتي، زالت جميع مخاوفي، عندما رأيت فتاتين، إحداهما ذات شعر فاتح للغاية، وعينين سوداوين، يصاحبهما بشرة بيضاء، وفم ممتلئ جذاب، طولها متوسط، ترتدي بنطالًا قصيرا، وفانلة سوداء، لن أقول عنها فائقة الجمال، لكن لديها جمال خاص بها، وابتسامة ساحرة، والأخرى طويلة القامة، شعرها أسود قاتم، رفيعة بعض الشيء، ذات فم رفيع، وعينين بنيتين، وبشرة قمحية، ترتدي بيجامة زرقاء، علمت أن اسميهما: فرح، وآية، فرح من الإسكندرية، وآية من طنطا، وعلمت أن الساكنة الثالثة لم تأت بعد، فأخبرتهما اسمي، وما هي محافظتي، فساعدتاني في إعداد فراشي، وتنظيم ملابسي في الدولاب الخاص بي، وأخبرتاني أنهما أيضًا من إعلام، بعدما انتهيت من إعداد كل شيء، ارتديت ملابس أخرى.

قامتا بأخذي؛ لتعريفي على فتيات الغرفة المجاورة لنا، وكن أربع فتيات، وهن: نرمين، و حسناء، و مي، والأخيرة فاطمة، انطلقت كل واحدة منا تتكلم عن نفسها، فكل واحدة منهن لها شخصية مختلفة عن الأخرى.

تكلمن عن أشياء عديدة، فبدأن الحوار، بأن سألتنا فرح:

-من منكن مرتبطة؟ ما هو الارتباط، أي الخطوبة والزواج؟

ضحكن جميعًا، ونظرن إليّ على أني ساذجة، أجابت فرح:
-لنُصغ السؤال من أجلك ياحرية، هل تحبين شخصًا ما و تحادثينه؟
انطلقت الألوان تظهر في وجهي، ألوان الطيف السبعة، وجاء في بالي فارس، لكنني لا أحبه، فبماذا أجيب؟ لم أجد أجابة سوى:
-لا. لم أحب في حياتي قط، والحب محرم على الفتاة في قريتي، ولا يسمى حباً، بل فُجراً.
فرح:
-لماذا ياحرية؟ أنا لا أقول لك الجنس بل أقول الحب، إذا كان الحب في بلدتكم فجراً، فماذا عن الجنس؟!
- لقد مر على عمري تسعة عشر عامًا، لم أسمع أحدًا في قريتي يبوح بتلك الكلمة جهراً كما تفعلين، حتى الرجال لا يقولونها.
- إذًا فهم جبناء؛ لأن الحب مرتبط بالجنس، فإنه جزء لا يتجزأ منه، فعندما تحبين تشتهين.
- ما هو الاشتهاء؟!
ضحكت فرح بصوت عال، وأخبرتني بأنها ستتحدث معي عن هذا الأمر لاحقًا، فسألت حسناء آية، هل تحبين، وما هي حكايتك معه؟

-4-

آية:

أنا لا أحب، أنا أهيم حبا، إن كان الإدمان بين بشر وبشر فأنا مدمنة حتى الأعماق، لقد رأيته لأول مرة في الثانوية، فوجئت بعينين ساحرتين، تنظران في عيني، كنت لا أقتنع بالحب من النظرة الأولى، لكني اقتنعت به في هذه اللحظة مع ارتفاع نبضات قلبي، وارتعاشة جسدي، وكأن أعصارًا أطاح به، وماأجمله من إعصار!

-هل يحبك؟

-نعم أنا متأكدة من ذلك.

- كم عدد المرات التي تتحدثانها يوميا؟

-هل ستصدقنني إن أخبرتكن أنني أحبه منذ ثلاث سنوات ولم أحدثه بطريقة مباشرة قط؟

-ماذا! وكيف تعلمين بأنه يحبك؟

-كنت مارة أمام منزله ذات مرة، أنا وصديقتي المقربة، ووجدته أمام المنزل، وعندما رآني حرك شفتيه بأحبك.

-لماذا لا تتحدثان إن كنت تحبينه وواثقة من حبه؟

-أنا لا أعرف عنه شيئًا، لا أعرف رقم هاتفه، ولا أعرف ما هي الكلية التي التحق بها، لا أعرف سوى مكان منزله، أمر أمامه عشرات المرات يوميا لعلي ألمحه، فمجرد فكرة أن هناك احتمالًا أن أراه، يتوقف قلبي، وتنعدم أنفاسي إلى أن أمر أمام منزله، فأصاب بخيبة أمل.

-كيف تحبينه حتى الآن، رغم أنه لا جديد في العلاقة؟!
-الحب يزداد بالابتعاد؛ فأنا أشتاقه حد الموت.
-ماذا سوف يحدث إن تزوجتي أحدًا غيره؟
-لا معنى للزواج إن لم يكن هو من يشاركني إياه. ما اسم هذا الرجل الذي يسحرك إلى هذا الحد؟
-محمد.

-5-

جال في بالي، أهذا هو الحب! أن تشتاقه دون أن تشبع اشتياقها به! رن هاتف حسناء في تلك اللحظة، سكتت آية حتى تستطيع حسناء أن تجيب على الهاتف، ولم يصلنا من الحديث سوى طرفها هي: ألو ماذا صار؟

أنا مشغولة الآن، حدثني لاحقًا، وأغلقت الخط، ملأ الفضول الغرفة والصمت، فرن تليفونها مرة أخرى، أجابت آخر، استغربنا جميعًا، وبعدما انتهت سألتها نرمين:

-من هذا؟

-أيهما؟ الأول أم الثاني؟

- الاثنان.

-الأول من يحبني، والثاني من أحبه.

ضحكت فرح، وقالت: أهناك ثالث؟ إنه في الطريق.

-سألتها أنا: كيف يمكنك أن تحبي أحدًا وتخونيه مع آخر؟!

- ليست خيانة، فأنا أبحث عن الكمال، والاثنان يكملان بعضهما البعض بالنسبة لي.

وهنا قررت أن أنام، فكثير من هذا سيؤدي إلى خروج الحرية التي حبستها في داخلي عدة سنوات، والآن تطفو الآراء التي تعادي عاداتنا البالية، وتقاليدنا القديمة إلى السطح، وهذا ما لا يريده أبي، هو فقط يريد مني أن أتزوج وأنجب، وأربي أولادي على ما كبرت أنا عليه. هذا ما لا أريده.

استأذنت منهن، وتوجهت إلى فراشي، بعدها بدقائق دخلت فرح، أخبرتني أنها ستتحدث في هاتفها عند الساعة الثانية عشرة، وترجو ألا يكون لدي مانع، وألا أنزعج لهذا الأمر، كان هناك فضول بداخلي أن أعرف من الذي ستحدثه في هذا الوقت المتأخر، ولكني لم أسألها، فقليل من الفضول يكفي، أخبرتها أنه ليس لدي مانع، واستغرقت في النوم، وعند الساعة الواحدة، استيقظت على صوت فرح وهي تقول: أنا أيضًا أتمنى أن أكون في أحضانك الآن؛ لأشعر بالأمان. أحبك، وضعتُ الوسادة على رأسي؛ حتى لا أسمع أمورها الخاصة، ونمت مرة أخرى، وأنا أفكر، ماذا سيحدث بأول يوم لي بالجامعة، كيف سيمر اليوم؟

-6-

ذهبت إلى حمام المدينة؛ لأغتسل؛ كي أرتدي ملابسي، كان مقسمًا إلى اثنين، قسم للاستحمام فقط، والقسم الآخر حمام فقط، وأحواض على الجانبين، اغتسلت وذهبت إلى غرفتي؛ لأرتدي ملابسي؛ لكي أذهب إلى الجامعة، كانت فرح تتحدث في الهاتف، لم أسمع سوى أحبك وأراك لاحقًا. فسألتها : من هذا؟

-إنه حبيبي.

-جال في بالي بأنه ليس زوجها، كيف تحادثه بهذه الطريقة! وكما أني لم أتعود، أن الحب يمكن التكلم عنه علانية هكذا.

- كيف تعرفتي عليه؟

-حكايتي معه غريبة جدًا، أقرب إلى الخيال. كيف؟

-سأحكي لك. ذات مرة كنت أبحث عن رقم إحدى شركات التجميل على إعلان حائط، ووجدته، دونت الرقم على هاتفي، وعندما عدت إلى المنزل، اتصلت بهذا الرقم، أجاب صوت ذكوري ناعم وهادئ، لمس مشاعري كثيرًا، سألته عن شركة التجميل، أجاب بأن الرقم خاطئ، تأسفت وأغلقت الخط، وبعدها بأسبوع حادثني؛ للاطمئنان إن كنت وجدت الرقم الصحيح أم لا، ونحن نتحدث في الأسبوع مرتين أو ثلاثة، ولم نلتقِ حتى الآن سوى مرة واحدة،

ولكني أحبه كثيراً، أما بالنسبة له، أحيانًا أشعر بأنه يحبني، وأحيانًا أخرى لا أكون في باله.

دخلت آية، وأخبرتنا أننا تأخرنا كثيراً، ويجب أن نرتدي الآن. أخبرتني أنها ستقص علي الحكاية في وقت آخر، وذهبت إلى الحمام، وبدأت أنا في ارتداء ملابسي، تنورة توضح تقسيمة جسدي المتناسق، وفانلة تخفي حجم صدري، وارتديت الطرحة، وعندما ارتديت الحذاء، لاحظت تمزقًا به، لم أنتبه له سوى الآن، اقترحت فرح أن أرتدي صندلًا منها إلى أن أشتري حذاءً جديدًا، فوافقت بعد تفكير عميق، أخرجت صندلًا لونه أسود، وبه كعب عالٍ، يصل إلى 5 سم، وأنا لا أرتدي كعبًا أبدًا، لكني ارتديته؛ لكي أرى مظهره به، وجدته يبرز ملامح جسدي، ويظهرني أكثر تناسقًا. قالت فرح: إنها ستذهب؛ لكي ترتدي ملابسها، حتى أتخذ قرارًا، كان القرار أن أرتديه، فوجئت بفرح ترتدي بنطال جينز ضيقًا، وتيشرت يلتصق على جسدها، ويبين استدارة نهديها، وصندلًا ذا كعب مرتفع يزيد من حركات جسدها المثير، فاستغربت ولكني لم أعلق، فكيف أنصحها، وأنا بداخلي أتمنى أن أرتدي مثلها، فأنا أعرف جيدًا أن أبي لا يجعلني أرتدي تلك الملابس خوفًا من أن ينظر رجل إلى جسدي، أو يحاول أن يتحرش بي، نظرت إلى فرح مرة أخرى، وجدتها تضع مساحيق التجميل على وجهها، كانت جميلة للغاية. سألتني لِمَ لا أضع بعضًا

من الكحل في عيني؟ فأجبتها بأنني لا أريد. إنني لم أجرب من قبل، نظرت إلي، وابتسمت كأنها تخبرني بأنني ساذجة كثيراً، انتهينا جميعاً، وانتظرنا بعضنا البعض وانطلقنا.

*****

كان يجب أن أنقل جدول محاضراتي، وأحضر المحاضرة الأولى عند العاشرة، وكان هناك وقت حتى يأتي ميعادها، فاقترحت آية أن نذهب؛ لنرى الجامعة معاً، ولنشرب شيئاً في الكافيتريا المجاورة للكلية .

في الجامعة جميع الأشكال، والأجناس، هناك المحجبة والأخرى يطير شعرها، القصير، والطويل، والرفيع، ومفتول العضلات، لكن أكثر ما أثار انتباهي أن هناك في جميع الأماكن ثنائيات، أحدهم يمسك يد فتاته، والآخر يضع يده على كتفها، كم تمنيت بداخلي أن أشعر بتلك اللمسة، بأن أنظر بعيني رجلًا أحبه، وأرى الشوق والحب داخلهما، ولكني لم أعلن ذلك أمامهما، لكن فُضح أمري بتلك التنهيدة، وكأنني أشاهد فيلماً تليفزيونياً أنا بطلته، مؤكد أن فارساً ليس بطلي، حرية: نعم، هاتفك يرن، أخرجت الهاتف لأرى اسم فارس يضيئ هاتفي، تذكرت أنني وعدته بأن أخبره بتحركاتي؛ لكي يطمئن بأنني بخير.

حرية

-ألو.

- لماذا لم تهاتفيني كما أخبرتك؟

-لم أقصد هذا. لا تحزن.

-أين أنت؟

-في الجامعة، وسأغلق الآن؛ لكثرة محاضراتي.

- سلام.

-6-

فارس

لا أعلم ما الذي جعلني أستيقظ الآن، وأهاتفها وأتحجج بأنني أريد أن أطمئن عليها، أو بمعنى آخر، أن أرصد تحركاتها إلى أين تذهب، ومتى تأتي، ومع من؟ رغم أنني أثق بها إلى أبعد الحدود، فأنا أعرف بأن فتاة مثل حرية، لا ترتكب الخطأ، ولكنني فقط أريد أن أسمع صوتها؛ ليخفق قلبي بجنون هتلر، وسرعة قطار سريع؛ لأسمع اسمي يخرج من شفتيها الممتلئتين الجذابتين، اللتين تستطيع بهما أن تخرج الراهب من رهبانيته؛ ليتذوقها، فما بالك بي وأنا رجل عادي أذوب عندما أراها، وأموت بنظرة من عينيها؛ فأحترق شوقًا عندما تبتعد عني؟! عندما ولدت حرية، كان عمري عشر سنوات، أخبروني بأن من سوف تشاركني حياتي قد أتت، لم أكن رأيتها بعد، ومع رؤيتي لها، ورغمِ صغر سني إلا أنني شعرت بأن تلك الفتاة، أصبحت جزءا مني الآن؛ لأحميها، وأحقق فقط أحلامها، وعندما بلغت الخامسة عشرة أدركت بأن بعض طموحها في تفوق طموحي، وأنها لا تريد شيئًا سوى أن تكون اسمًا على مسمى، أن تكون حرة؛ كي يكون اسمها حرية. في يوم دخلت أمي فاطمة، وأخبرتني أنها لا توافق على زواجي من حرية، إلا بعد أن تنتهي من دراستها، مع أني كنت أنتظر اليوم الذي تكون حرية معي في منزل واحد، لا

أنتظره، بل أموت شوقًا إليه، ولكني وافقت أن تكمل تعليمها.
إنني أحب أن أراها فرحة، وحاولت إقناع أبي يوسف؛ ليتركها تكمل تعليمها، بذلت كل ما بوسعي؛ لأقنع أبي يوسف بأن يوافق أن تحقق حلمها، ولكن بداخلي كنت أتمزق مع كل محاولة مني لإقناعه؛ لأني لا أريدها أن تبتعد عني، أو تغيب عن نظري، برغم ذلك الجفاء الذي لا تعطيني سواه، إلا أنها تجري كالدم في عروقي، لا يبدأ اليوم إلا عندما أراها، أو أسمع صوتها، أتذكر ذات يوم بأنني هاتفتها كثيرا، لكنها لم تجب، قلقت للغاية، وقررت أن أذهب؛ لأراها في بيت أبي يوسف، ولكنني خفت من أن أخبرها عن قلقي؛ كي لا تخبرني كعادتها: إنني لست صغيرة يافارس، فعاملني على هذا الأساس، كنت أجن من هذه الجملة؛ لأنها بالفعل صغيرتي، فأنا أشعر بأنها مسئولة مني. إنها الطفلة التي لم أنجبها، بل سأتزوجها؛ لكي تشاركني كل لحظة من حياتي القادمة، وكم أحلم بذلك اليوم الذي تأتي بقدمها؛ لتنام في أحضاني بحثًا عن الأمان؛ لأعطيها إياه وبوفرة، كم أحلم بأن أستيقظ على قبلة من فمها الشهي؛ لأذوق طعم السكر، وأتمنى فقط أن تقابلني بحب عندما أهاتفها، تجيب بحنان، وأمنيتي أن يكون بيننا ولد، مني ومنها، يحمل اسمي وملامحها؛ لكي أعطيه حب الدنيا، ليس لأنه ولد، بل لأنه من حرية، ياله من اسم!

-7-

مر أسبوع منذ مجيئي إلى القاهرة، بين المحاضرات نهارًا والحديث مع الفتيات ليلًا، لم يحدث شيء يذكر، سوى أن أخي هاتفني؛ ليطمئن قلبه، ولكني سألته:

-أين أنت؟

- لماذا؟ أريد فقط أن أطمئن عليك؟

-أنا في مواجهة كليه الحقوق. أين أنت، لا أسمعك جيدًا؟

أغلقت الخط، وقررت أن أفاجئه، وأذهب إليه، فاصطحبت فرح معي، حتى أصل إلى هناك، أخذت أحكي لها عن أخيِ، وأنه مثلي الأعلى، فقد التحق بكلية الحقوق؛ ليصبح قاضيا، وكم هو محترم، أثناء حديثي، كنت قد وصلت أمام كلية الحقوق، فوجئت بأخي المبجل، صعيدي الأصل، الذي يمنع عني التنفس، يضع يده على كتف فتاة ترتدي بنطالًا، وتيشرت فضفاضًا، لم أكن أعرف ماذا أفعل إن اقترب، وتزول هيبته أمامي، أم أنسحب وكأنني لم أره، ولكني اتخذت قرارًا سريعًا بأن أريه كيف أنه يمنعني من فعل أشياء، يغوص إلى الأعماق بها، وكيف يرى أن الحب بالنسبة لي محرم، وأن أنظر في عين رجل فجري، وهو يفعل ما يرفض ما هذا التناقض؟!

-حرية

-ما بك يا أخي؟! لم كل هذا الذهول؟!

- لا. فقط أنا فرح لرؤيتك في جامعتي، ألن تعرفيني؟

-على من؟
-همستُ له في أذنه عن تلك الفتاة، التي كنتَ تضع يدك على كتفها يا أخي.
-إنها سما، هيا لأعرفك بها.
- سما.
-نعم.
-إنها أختي حرية، التحقت بكلية الإعلام.

-8-

فارس

مر أسبوع منذ آخر مرة رأيتها فيها، أشتاق إليها للغاية، أشتاق تمردها، قوتها، لسانها الطويل، الذي تهزمني دائمًا به، وتحطم جميع دفاعاتي وأسواري أمام حكمتها، أحب استماتتها عن الدفاع عن بنات جنسها، وعن كل شيء يخصها مما يجعلني أتفاءل بأنها ستدافع عني بتلك الاستماتة، ذات يوم أتذكر في مرة، هاتفني أبي يوسف لآخذ حرية، وأوصلها إلى صديقتها، وأن أعود بها، وأثناء طريقي وجدت حرية فتاة صغيرة يتراوح عمرها من ست إلى سبع سنوات، أزالوا جميع شعرها، وولدًا يتراوح عمره من تسع إلى عشر سنوات، يجثو على ركبتيه، وفي يده أداة حادة والبنت الصغيرة مستسلمة له في ذلك المكان المظلم، رآها الولد متوجهة إليهما، فهرب فأمسكت بالفتاة، وسألتها: ماذا ستفعلين بها؟ أجابتني: سأذهب؛ لأرى من أهلها، لم تترك الفتاة إلا أمام بيتها، طرقت على الباب، فُتح الباب وإذا برجل يترنح؛ لغياب عقله، أعطته حرية الفتاة، وشرعت تعلمه كيف تكون الأبوة، ونهرته كيف تفعل بابنتك هكذا؟! كيف تزيل شعرها وتشبهها بالرجال؟! ألإنك تريد ولدًا تظلمها هكذا؟! كيف تتركها هكذا بدون رعاية؟! فإنها صغيرة، يجب أن تكون تحت عينك، أين

غريزة الأبوة لديك، أم أنك حيوان همجي! وتركته، ومشت أمامي، فسألت نفسي من أين لها بتلك القوة؛ لتقف أمام رجل كهذا بدون خوف! فتحرك قلبي؛ طلبا لسماع صوتها فهاتفتها، مع كلمة ألو، كأنني أخذت جرعة اليوم من إدمانها.

- كيف حالك؟

-بخير. شكرا لسؤالك.

-لقد اشتقت لك كثيرا، متى ستأتين؟

-لا أعرف متى بعد، ولكني سأحاول أن آتي قريبا؛ لأرى أبي وأمي، لقد اشتقت إليهما كثيرا.

-ألم تشتاقي إلي أنا؟

-سأغلق الآن، فأنا مشغولة كثيرا. هاتفني لاحقًا.

-سلام.

-سلام.

-9-

فارس فارس فارس، متى ستتوقف عن تعذيب نفسك وتعذيبي؟! متى ستتوقف عن حبي، ومحاولة الوصول إلى قلبي؟! أنت تعلم أنني لن أخالف عاداتنا، وبأنني سأكون ملكًا لك يومًا ما، جسدًا وليس قلبًا، فقلبي ملكي أنا فقط.
حرية: نعم ياماسة، هيا لتجلسي معنا فنحن في انتظارك، سآتي حالًا، سأغير ملابسي الآن، وسأكون خلفك، ماسة هي الفتاة الرابعة في غرفتي، أتت في منتصف الأسبوع الماضي. إنها ملتحقة بكلية الطب .... أخرجتني فاطمة من تفكيري بها، هيا ياحرية، لقد تأخرتي كثيرًا، ومضت الليلة في الرقص، والكلام الجنسي أحيانًا، وفي قيل وقال أحيانًا أخرى، زاد من جلستنا فسقًا على فسق، أن حسناء ستتزوج قريبًا، وابتاعت كتابًا عن العلاقة الجنسية بين الزوجين، وأخذت تقرأ علينا الطرق الصحيحة للقبلة، ومع كل كلمة يحمر وجهي أكثر فأكثر؛ لأن القبلة بالنسبة لي، هي أقصر مسافة بين شخصين، القبلة هي أن تلامس شفتاي شفتيك، فيزداد عطشي إليك أكثر فأكثر، فأجذبك نحوي، في محاولة إلغاء كل مسافة صغيرة بيننا، هذه هي القبلة بالنسبة لي، وانتهت الجلسة عندما بدأن يتحدثن عن العلاقة الحميمة انسحبت إلى غرفتي، وفكرت، هل سأقوم بتلك الأشياء يومًا ما مع فارس! وهل سأشعر بسعادة عند القيام بها معه!

*****

مر منتصف اليوم طبيعياً إلى الآن، ما بين محاضرات وتنقلات. حرية: نعم يافرح رافقيني. إلى أين؟ سأحجز كورس إنجليزي في آخر الجامعة. هيا بنا هيا. مشيت معها إلى أن وصلت مكان الكورس، دخلت أمامي، وأنا خلفها سقط كتاباً مني، انحنيت لألتقطه، وسمعت فرح تتوجه بكلامها إلى شخص، فالتقطت الكتاب، ونظرتِ في اتجاه فرح، سمعت صوت محدثها الذي كان منحنياً؛ ليأتي لها ببعض الأوراق، لم أرَ سوى ظهره، ولكني سمعت صوته الهادئ والمثير، كرائحة عطره التي تغلغلت في أعماقي، وسحرتني، تقدمت نحو فرح دون أن أشعر بأنني أمشي إليها، وعندما وصلت إليها استدار، وياليته مااستدار، فوجئت بعينين، لم أستطع تحديد لونهما، أهو لون البحر الصافي الذي تستطيع أن ترى الرمال من خلاله؟ أم ماذا؟ جاءت عيناه بعيني، فشعرت بأن قلبي يريد أن يمزق أضلعي من قوة خفقانه، وسرعة دقاته، أشاح بنظره عني كمن لدغه عقرب، ولم ينظر مرة أخرى نحوي كأنه يتجاهلني، ولأول مرة خلال حياتي، أردت لفت انتباه رجل؛ لينظر إلى وجهي وجسدي؛ ليشعر بمدى جمالي، ولكن ذلك التجاهل أتاح لي رؤية تفاصيل وجهه وجسده، كان طويلًا عريض المنكبين، مفتول العضلات، متناسق القوام إلى أبعد الحدود، له وجه كأنه منحوت على يد فنان يوناني، لم يفعل شيئًا في حياته سوى النحت؛ ليصل إلى جمال ذلك

الوجه، له شعر أسود، ورموش طويلة، وحاجبان كثيفان، وأنف مستقيم، وفم لا أعرف كيف أستطيع وصفه، فكلمات الجمال جميعها إذا اجتمعت لن تعطيه حقه، فم لم أرغب في حياتي أكثر من تذوقه بأن أشعر به على جسدي.

- آية: ما رأيك ياحرية؟

- حرية: نعم؟

-آية: ما رأيك؟

- حرية: كويس.

توجهت إليه بالحديث، وأخبرته أنها ستأتي غدًا في نفس الميعاد؛ لتؤكد عليه الحجز، وسحبتني من يدي، وأنا أمشي معها كالمسحورة.

لم أكن أتخيل أنني يمكن أن أشعر تجاه شخص هكذا، أو يمكن لشخص أن يعصف بقلبي، ويجعلني أفكر به بتلك الطريقة، حتى فارس الذي سيتزوجني قريبا، لم أفكر به هكذا، لم أفكر بفمه، ولا بجسده، لم أشعر بأنني أفكر مثل النساء، وأشعر مثلهن إلا عندما رأيته، وكأنني رأيت شمسا، بل إنها شمسي، كان لقاء صغيرا، الذي جمع بيننا. جعلني أشعر بذلك الإحساس الغريب، الذي تملكني. أصبحت لا أستطيع التحكم في مشاعري، ولا حتى ابتسامتي المرتسمة على وجهي، وكأنني أقول لجميع من حولي إنني وجدته. نعم لقد وجدته. ما بك؟ هاه! ما بك

ياحرية؟ لا شيء، أنا بخير، هل ستأتي إلى هنا غدًا؟ نعم لأحجز الكورس، هل يمكنك المجيء معي؟ بالطبع شكرت الله بأنها هي من طلبت مني، ورحمتني من الحرج، مر باقي اليوم هادئًا من الخارج، ولكنه مليء بالضجيج بداخلي، كأنني ما عدت على الأرض، انتظرت الغد كأنه يوم فرحي؛ فقط لأنني سوف أراه، وتمنيت أن يمر اليوم بسرعة؛ لأسمع صوته، ذهبت إلى المدينة، لاحظ الجميع السعادة التي تشع من وجهي، وقبل أن أذهب إلى النوم، قررت أن أختار ملابس غير ما اعتدت أن أرتدي، واقترحت علي فرح أن أرتدي أحد فساتينها، واختارت أحدها، كان طويلًا أسود اللون، به رباط تحت الصدر، ويبين ملامح جسدي، وصندلًا أسود، يبلغ طول كعبه 5 سم واستلقيت على السرير في محاولة للنوم، ولكني استغرقت وقتًا حتى نمت، وما ساعدني على النوم، هو أني أقنعت نفسي بأنني سأحلم به ونمت.

-10-

يحيى

كان يومي يمر برتابة شديدة حتى أتيت أنت، فقلبت كل الموازين؛ لتكون لصالحك، أنت قد حطمت جميع أسواري، جعلتني أنسى من كانوا في حياتي من نساء قبلك، وأكره من سيأتي في حياتي بعدك، بعد تلك النظرة التي جعلتني ورقة مطوية في يدك، تتمنى أن تكون قريبة فقط من قلبك، كنت أنتظر محاضرتي التالية في كلية الهندسة جامعة القاهرة، وتلك سنتي الأخيرة في هذه الكلية المشؤومة، وأثناء انتظاري اتصل بي صديقي علي؛ ليطلب مني أن أقف مكانه في عمله حتى يأتي؛ لأنه يجب أن يذهب الآن إلى البيت، وافقت لأني أعرف عمله جيدًا من كثره ما كنت أجلس معه فيه، ذهبت جلست في انتظار أحد ليحجز كورسا، دخلت فتاة وسألت عن الكورس استدرت؛ لأحضر بعض الورق به تفاصيل عن الكورس المراد تفسيره، وانحنيت؛ لألتقطه وعند استدارتي لأشرح لتلك الفتاة، وجدت عينًا تنظر إلى عيني، عينًا سوداء جميلة للغاية، شعرت بشيء يقع على قلبي ليلتقطه ويذهب، كانت عينك تحاول أن تخترقني؛ لتصل إلى أعماقي، فاستدرت قبل أن تكتشفي ما في بالي، استدرت كمن لدغه عقرب، ونظرت إلى صديقتك، وحاولت التركيز معها بعيني، ولكن عقلي وجسدي كان معكِ أنتِ، كنت أشعر بعينيك

تأملني، جاهدت وجاهدت؛ لأركز فيما أقول حتى سمعت صديقتك تنطق اسمك حرية، رددته في سري: حرية ما هذا الاسم؟! هل أنت كما اسمك حقًّا أم مقيدة؟! كنت أريد أن أنظر إليك وأنطق اسمك؛ لأسمع نعم منطلقة من فمك؛ لأسمع فقط صوتك، ولكني ما استطعت. قالت لي صديقتك: إنها ستأتي غدًا في نفس الميعاد، ما كنت أفكر في محاضراتي، ولا أن هذا ليس عملي، كنت فقط أفكر أنني سأكون هنا غدًا فقط؛ لأراك لأنظر لعينيك، ولا أريد أكثر، وضعت صديقتك يدها بيدك وسحبتك إلى الخارج، وسحبت أنت قلبي معك، انتظرت صديقي إلى أن جاء، وأخبرته أنني سأجلس مكانه غدًا أيضًا نظر إلي باستغراب، وسألني لماذا؟ أجبته: لا تسأل فقط نفذ ما أقول كخدمة يارجل، فوافق ذهبت إلى البيت قبلت أمي وأبي، وجلست في انتظار الليل، فغفوت لعلي أحلم بك.

-10-

أنت ونظرك على وجهي، وتوجهت بالحديث إلى فرح ونظرك ثابت على وجهي، جاءت عينك في عيني، ارتعش جسدي، واحمر وجهي خجلًا، نظرت إلى أسفل، ومسكت يدي لعلي أسيطر على ارتعاشها؛ خوفًا من أن ترى مدى تأثيرك فيّ، كنت متابعة حوارك مع فرح، إلى أن فوجئت بأنك تنادي اسمي، كنت أظن أنني أتوهم أنك تناديني! فكيف لك أن تعرف اسمي، أو كيف لم أسمع اسمي هكذا من قبل؟! رفعت نظري عن الأرض؛ لأنظر لك؛ لأتأكد من أنك أنت الذي تناديني، وأن هذا الصوت ليس من صنع خيالي، وجدتك تبتسم لي، وتعيد نطق اسمي مرة أخرى.

- حرية.

-نعم.

-مرحبا

-مرحبا بك.

-ألن تملأي استمارة أنت أيضًا؛ لتلتحقي بالكورس؟

- لا، لا أريد الالتحاق شكرا.

-لا تقرري عدم التحاقك إلى أن أشرح لك ما يحتويه الكورس. اقتربي.

-شكرا لك، لن ألتحق.

عاودت التحدث إلى فرح، وتمنيت أنا أن تنشق الأرض وتبتلعني؛ بسبب تلك الطريقة التي تحدثت إليك بها،

فأنا لم أتعامل مع رجال من خارج عائلتي، إلا عند الحاجة القصوى؛ لذلك نظرت إلى وجهك مرة أخرى لعلي أحتفظ ببعض من ملامحك بذاكرتي؛ لكي أستعيدها كلما احتجت إلى أن أراك، نظرت إلى عيني مباشرة، كأني تم اكتشافي وأنا أسرق، وعقابي منك كان رصاصة مباشرة أصابت قلبي وجعلتني خاضعة أمام جمال عينيك، وكأنني أصابتني الحمى تحت وقع نظراتك، وصرت أتخيل أنك تخطو نحوي، تقترب مني ببطء، وهدوء كالأسد الذي يتوجه إلى غزالة صغيرة، ويعلم جيدًا أنها لن تهرب منه، فلا حاجة له لبذل مجهود، فلمَ السرعة إذًا؟ فصرت قريبًا جدًّا مني، ورفعت يدك لتلمس وجهي، فأخرجتني فرح من تخيلاتي.

-حرية حرية.

-نعم يافرح.

-يلّا عشان نمشي.

فتوجهت إلى الباب، واستدارت فرح فجأة، وقالت: صحيح ما اسمك؟ أخبرتها أنت بأن اسمك يحيى.

أعجبني اسمك كثيراً، وتمنيت لو أناديك به بمنتهى الحنو، يحيى، ولكن هيهات! في منتصف طريق رجوعي رن الهاتف رنة كنت أعرفها جيدًا لشخص كنت نسيت أنه موجود، وأن الإحساس الذي أشعره تجاه يحيى من حق ذلك الشخص فارس، لقد نسيت أنه موجود تماماً، لقد مر

يومانِ منذ اتصاله الأخير، وأنا بشعوري نحو يحيى، خنت فارسًا الذي يحاول بشتى الطرق لإرضائي؛ لجعلي أحبه، ولكن جميع تلك المحاولات لا تؤدي إلى شيء سوى الفشل نظرت إلى شاشة الهاتف، وغيرت الوضع إلى صامت؛ كي لا أسمع رنته، أو أرد عليه؛ فيشعر في صوتي بخيانة المشاعر، أو بالذنب الذي بت أشعر به، لماذا الأمر صعب هكذا؟! لماذا؟!

حرية

-11-

يحيى

كنت سارحًا، وأشخبط اسمك في ورقة أمامي لمجرد أن أفعل شيئًا؛ لأسيطر على التوتر الذي بداخلي لتقليله فقط بعض الشيء، فدخلت أنت ودخل التفاؤل مع وجهك، كنت قد قررت قبل دخولك ألا أنظر أليك، أن أمنع نفسي من النظر إلى عينيك، إلى وجهك، ولكن وجدت نفسي أنظر إلى وجهك، كأنني مشدود بمغناطيس قوي، وأنت مركزة حاولت، وحاولت أن أنظر إلى صديقتك فرح وأنا أحدثها، ولكن لم أستطع أن أرفع وجهي عنك، وزادت رغبتي بألا أتوقف عن النظر إليك عندما احمر وجهك بطريقة مغرية جعلتني أتوق إلى أن ألمسه، عدت إلى الحديث مع فرح ومن خلال أسئلتي لملء الاستمارة، عرفت أنكما ملتحقتان بكليه الإعلام، ابتسمت ابتسامة بداخلي؛ لمعرفتي أن الفترة القادمة لن أتحرك من أمام إعلام إلى أن أحصل على حبك. أن أموت هناك، كانت رغبتي أن أستمع إلى صوتك يقتلني من الداخل، وأنا لا أحب أن أقتل بتلك الطريقة، فبحثت عن مادة للحوار معك حتى أستمع إليه، نعم إنه الكورس. ناديت اسمك، وحاولت أن أنطقه بجدية؛ حتى لا يفتضح أمر أعجابي الشديد بك، فسمعت صوتًا ملائكيا يجيب بنعم، وبنظرة حانية نظرت إلى وجهي، فذاب قلبي إعجابًا وتحدثنا. كان حديثك جادًا، وجافًا للغاية، وكأنك تكرهينني

شعرت بطعنة في صميم رجولتي، أنا أعرف تأثيري على النساء جيدًا، وأعرف كيف أذيبهن تحت نظرتي، كيف أجعلهن كخاتم في أصبعي بمجرد لمسة عابرة مني، وأن أجعل أكثرهن غرورًا ألا تكرر سوى اسمي بعد ليلة واحدة في أحضاني، ليس شكلي فقط ما يفعل بهن ذلك، بل ذكائي في معاملتهن، فأنا لم أرد فتاة إلا وحصلت عليها، هكذا أنا دنجوان لعين، إنه كالكريات البيضاء في دمي، ورغم كل ذلك لم تفعل فتاة هكذا بي سواك أنت، لا أعرف ما جذبني في براءة عينيك، واحمرار وجهك! ربما. لقد مضى وقت طويل لم أرَ فتاة تحمر من نظرة، ولا لديها حياء مثلك، فنحن في زمن تطلب فيه النساء من الرجال أن يضمهم فراش واحد، في زمن أصبح حياء الفتاة ضعفًا منها.

-12-

فارس

لقد ندمت أنا فارس، ندمت على موافقتي أن تذهب حرية إلى الجامعة، وتكمل تعليمها، موافقتي ألا تتزوج إلى أن تنتهي من جامعتها، لا أعرف لم تريد أن تنهي ذلك الشيء، رغم أنه لا فائدة منه، ففي النهاية سنتزوج، ولن تعمل، فعملها الوحيد هو أن تكون في أحضاني أنا، واثق أنها ستحب ذلك العمل كثيرا، لقد قاربت الثلاثين وأنا صعيدي لا أخالف شرع الله، لا ألمس ولا أنظر إلى امرأة غير امرأتي وهي لا تريدني أن ألمسها، لقد طلبت منها مرارًا أن نكتب كتابنا، لا لشيء سوى فقط أن ألمس يدها، فنحن في القرن العشرين، وهي خطيبتي، لكنها لا تسمح لي بلمسها حتى على وجهها، وأيضًا لا تريد الزواج الآن، وتنتظر مني ألا ألمس امرأة أخرى، رغم أنني لن ألمس امرأة غيرها أبدًا مهما حدث إلا أنني أريدها، فأنا بشر، وأحبها بجميع الطرق، قررت بعد ذلك التفكير أن أهاتفها؛ لأستمع إلى صوتها، أن أسألها متى سينتهي ابتعادها عني؟ متى سيضمها صدري؟ ولكنها لم تجب، عذرتها فمؤكد مشغولة هي في محاضرة، فعندما تكون مشغولة في شيء تكره أن يقاطعها أحد؛ لأنه يقطع حبل أفكارها، كما تقول.

نعم فأنا أحب مجنونة، نعم من ستكون أمّا لأولادي و ستشاركني حياتي القادمة مجنونة!
وأنا مجنون أيضًا، ولكن جنوني يفرق عن جنونها في أني مجنون بها!

-13-

مر على ذلك اليوم الذي رأيت يحيى فيه لأول مرة أسبوع، حدث به العديد والعديد، فقبل ذلك الأسبوع، كنت شخصية حزينة، أما الآن وكأنني أخون الحزن بعدما تلوت عهود الزواج عليه، ووعدته بألا أكون لأحد غيره، ووعدته بالولاء له للأبد، أخونه مع الإعجاب وتاليا الحب، أصبحت أرى يحيى يوميا عند الساعة الثانية جالسًا عند الكافيتريا الخاصه بكليتي، لم أعرف أنه يجلس هنا إلا عندما قالت لي فرح، فهي كانت جالسة منتظرة إحدى صديقاتها، وجدته جالسًا هناك مع أصدقائه، لم تستطع أن تسيطر على فضولها الأنثوي، في أن تعرف لماذا يجلس هنا رغم أن هذا ميعاد عمله! توجهت إليه وسألته لماذا هو ليس في العمل؟ أخبرها أنه في كلية الهندسة ولا يعمل، بل إنه كان يأخذ مكان صديقه فقط. أخبرتني أنه سألها عني، فضحكت وتركته وذهبت، ومن هنا أصبحت أراه هناك، أختلس نظرة أو اثنتين، وأمنع نفسي من التحديق له، لا أعرف إن كان لاحظ وجودي أو لا. إن كان ينظر لي أم غير ذلك، لقد قررت أن أتعلم الرقص الشرقي على يد فرح وفاطمة، فأصبحت كل يوم أرقص إلى أن أموت من التعب، وأجلس ونتحدث إلى الفجر، فقبل مجيئي إلى المدينة، كنت أنام عند التاسعة، أما الآن، فأسهر إلى الفجر، ياإلهي! كنت أصحو؛ لأصليه، أما الآن أصليه، وأنام أحيانًا أخرى، نسهر

إلى الصباح، نتحدث عن الرجال واختياراتهم الخاطئة، وكم ستكون الحياة جميلة بدونهم، و الطريقة المثلى لإبادتهم من على وجه الأرض، ولكننا قررنا أن نترك ألف رجل في العالم أجمع؛ لنحافظ على بقاء البشرية، فبعدم وجود الرجال لن تتعذب النساء، لن تشتاق، ولن تحزن كثيرا، لكن فاطمة اعترضت على إبادتهم بحجة أن حضن الرجال أفضل من الأدوية، أحيانا للأمان الذي تشعر به المرأة وهي فيه، لكن هيهات! فرح رفضت تلك الفكرة. قالت بأن المرأة لا تحتاج الرجال في شيء، بل إن الرجل هو من يحتاج المرأة، فأنا أحب قوة فرح للغاية، أحب حريتها وعدم تقيدها بأي من العادات البالية المتوارثة، فهي دائمًا تخبرنا أن الرجل، والمرأة مثل بعضهما البعض في جميع الأشياء، وأن المرأة ليست كائنًا ضعيفًا، كما يعتقدون، إنما هي من تقود الرجال من خلف الكواليس.

*****

مرت أربعة أشهر على علاقتي بك، مرت أربعة أشهر بجميع أيامها التي قضيتها معك، أحيانًا على الهاتف، وأحيانًا أخرى معك في الجامعة، وأخيرًا في مشاهدة الغروب في مكاننا المفضل، في هذه الأيام عرفت كيف أحب، وأعشق وأشتاق، كيف أحترق بالغيرة، تعلمت منك الكثير، تعلمت أن معاملتي لك تختلف عن جميع تعاملاتي الأخرى، فنسيت أنني صعيدية، فعشقت الغروب، ولي

ذكريات معه، أتذكر أنني كنت جالسة بجوارك عند الساعة السادسة، أي وقت الغروب، كنت أتأمل الشمس وهي تنسحب بهدوء وجاذبية، كأنها لوحة فنية، تذيب قلوب أقسى العاشقين وتترك مكانًا للقمر؛ كي يقوم بالباقي، أخرجتني مِن شرودي فقلت: أتعلمين! فأنت تشبهين الشمس كثيراً! كيف! فأنت تنيرين حياتي، ولكني أموت خوفًا أن تشبهيها في انسحابها بهدوء؛ ليحل البرد مكانها، لن أسمح للبرد أن يسيطر عليك أبدا؛ لأني لن أنسحب، وبعدما أخبرتك ذلك، اعترفتَ لي بأنك تحبني، شعرت التهور، هذا ما شعرت به عندما أخبرتني لأول مرة منذ بداية علاقتنا بأنك تحبني، قلت: بحبك، وكأنك بعدها لن تقلب موازين حياتي، وتجعل قلبي يتوقف عن الخفقان؛ ليعود فقط ليدق باسمك؛ لهذا شعرت بأنني سأتهور وأرمي نفسي في أحضانك؛ لأجعلك تشعر ما انتابني في تلك اللحظه وخوفًا من أن أفعل ذلك، أو أن أعترف لك بحبي الشديد لك، قررت أنه حان الوقت للعودة إلى المدينة؛ كي لا أفعل أشياء أندم عليها لاحقًا.


حرية

-14-

في البداية كنت خائفًا أنا يحيى من حبك حد التورط فيك، والآن أصبحت متورطًا إلى النخاع، ومازال تورطي يزداد ويزداد، وإذا كنت أنت الموت، لا أريد سواك، ولا أريد سوى الموت على يدك يامدللتي، فأنا كنت جسدًا فقط من قبلك بلا روح، وعندما دخلت أنت حياتي بخطواتك الهادئة، وسيطرت على قلبي وأسرته بحنانك، وطيبتك الزائدة جعلتني جسدًا، وروحي بداخلي ترقص فرحًا؛ لحصولها عليك، فحياتي الماضية، كنت لا أفكر سوى في رغبات جسدي في أن أنام مع هذه، وأغزو جسد هذه، وأمر بفمي على صف من النساء المرددات لاسمي، ولم يكن فيهن أحد يشبهك، ولا منهن من هي قليلة الخبرة ونقي مثلك، لا شيء يلوث جسدك الذي يشبه الحرير الأبيض، ولا قلبك الصافي، سوى أنني فيه، فأنا النقطة السوداء في حياتك، النقطة الوحيدة الجامحة فيها، فلقد مر على ارتباطي بكِ أربعة أشهر، لم يكن في حياتي أجمل منها، ولم أكن قريبا من الله هكذا سوى في تلك الأربعة أشهر؛ وذلك بسبب غضبك عندما لا أصلي، وتخبريني أن الصلاة أهم ركن في حياة الإنسان، فبها تتقرب من الله، ولا تهدأين إلى أن أصلي، وأؤكد لك هذا حتى تعودت على الصلاة في مواعيدها، ولا ألمس فتاة قط، أو أنظر إليها نظرة سيئة، ودائمًا تخبريني أن أعطي للناس أكبر عدد من

الأعذار عندما يرتكبون الأخطاء؛ لكي يعطيك الناس عذراً؛ لأننا لسنا معصومين من الأخطاء، وبعد كل هذا أصبحت أعتقد أنك ملاك، أرسلك الله؛ لتهديني إليه، لا أعتقد أنني أحببت أحدًا في حياتي أكثر منك فصرت أنت مثلي الأعلى الذي لا يكذب، ولا يخدع ولا يخون أحبك.

-15-

أكره نفسي كثيراً عندما تنظر إليّ على أنني ملاك لا أكذب، كم أكره نفسي عندما تخبرني بأنك تثق في أنني لا أكذب، ولا أخفي عنك شيئًا، كم تمنيت أن أبوح لك بكل أسراري، أن أخبرك عن عائلتي التي تواظب في السؤال عنها، أحيانًا يرن الهاتف وأنت بجواري، فتنظر لي نظرة استفهامية، تريد أن تعرف من المتصل، فأنظر إليك، وأقول ببراءة: إنها فريدة، وإنما هو فارس خطيبي، الذي سأكون له يومًا، ولا شيء يجعلني أكون لأحد غيره، سوى أن أهرب من بيتي، أن أجلب العار على بيتنا، وأضع رأسهم في الطين أمام جميع قبيلتنا، أنا أعرف جيدًا بأنني أخون ثقة أمي الآن وحلمها، وأخون حلمي أنا أيضًا، في أنا أدافع عن بنات الصعيد في جميع أنحاء الجمهورية، وأن أجعلهن جميعًا مثلي، ولكني لم أخطُ أي خطوة تجاه ذلك الطريق، واخترت أن أمشي في طريق مختلف، طريق الحب، وأن هذا الطريق نهايته المجهول، ولكن ما أحلى المجهول! إذا كنت معك، فأنا أوافق أن أمشي في النيران، كانت يدك في يدي، أتتذكر أول مرة لمست يدي، وكيف كانت ردة فعلي عندما فعلت ذلك؟! فكنت أنت وأنا نعبر الطريق، وأنت تعلم جيدًا أنني أخاف من طرق القاهرة السريعة كثيراً، فرأيت ترددي في العبور، نظرت إلى وجهي، ثم نظرت أمامك، وسحبت يدي، ومسكتها وضغطت عليها، كأنك

تقول لي لا تخافي، فأنت معي، لن يحدث أي مكروه ودفعتني؛ لأمشي بجوارك، وأعبر الطريق، فأنت لا تعرف ماذا شعرت، عندما مرت أناملك على يدي، شعرت بشعورين متناقضين، الأول شعرت بقشعريرة لذيذة تسري في جسدي، شعرت بأنني شربت نوعًا من المسكرات، فلم أعد أشعر بشيء سوى أنني أطير من الفرحة، لقد حصلت على ذلك الشعور أخيرا، حصلت عليه، وأما بالنسبة للشعور الثاني، شعرت به عندما وصلنا إلى الجهة الأخرى من الطريق، شعرت بالغضب عليك، وبالغضب على نفسي، فأنا صعيدية، لا أقبل بهذا، فنظرت إليك يحيى، نعم لا تلمس يدي، أو أي جزء مني مرة أخرى. أفهمت؟ لماذا أنت غاضبة هكذا؟ لقد كنت أعبر بك الطريق لا أكثر، فصرخت في وجهك، وقلت: لا تكرر هذا الأمر مرة أخرى، أفهمت؟ وتركتك، ورحلت حتى الآن، لا أعرف لماذا فعلت هذا! لماذا لا أترك نفسي معك؟! فلقد ارتكبت الخطأ وانتهى الأمر، وكان هذا بداية التفكير الذي سيأخذني إلى الجحيم.

اليوم هو الأحد، اليوم الأخير في امتحاناتي، وسأحصل على إجازة نصف العام، وأذهب إلى بيتنا، وأرى أختي، وأبي، وأمي، ياله من يوم! ولكني كنت حزينة؛ لأنني لن أراك غدا، ولن أراك إلا في بداية التيرم الجديد، وأنا أشتاق لك كثيرا منذ الآن، رغم أنني تحدثت معك سبع ساعات متواصلة، رغم أنني لدي امتحان اليوم، ولكني ذاكرت تلك

المادة مرات عديدة، وأردت أن أقضي يومي كله معك على الهاتف، ثم في الجامعة، فكنت قد استيقظت على صوتك منذ ساعتين، فتحت عيني على صوت رنتك الخاصة بك: ألو يايحيي، بحبك مفيش صباح الخير، بموت فيكي بعشقك. ضحكت بصوت عالٍ، وأخبرتك بأنك مجنون، وكان ردك أنك مجنون بي، وأنه يجب أن أستيقظ الآن؛ لأرتدي ملابسي، وأذهب إلى امتحاني، وأنه سينتظرني أمام باب الكلية، وأغلقت الهاتف، وأنا الآن جالسة أفكر بأنني محظوظة؛ لأنك في حياتي، وخرجت من شرودي؛ لأنادي فرح؛ كي ننزل. عندما خرجت من الامتحان وجدتك أمامي، ومعك شوكولاتة لي، ففرحت بها كثيراً، سأشتاق لك كثيراً يا صغيرتي، وأنا سأشتاق لك أيضًا، فأنا لا أريد أن أبتعد عنك لحظة، وسأخبرك عن مفاجاة بعد قليل! كيف أكون بعيدة عنك! ألم تخبرني بأنني جالسة في قلبك، ولن أتحرك منه مهما حدث؟! يا إلهي ألن أكسب أمامك حواراً أبدًا! ابتسمت لك وقلت لك بصوت عالٍ: لا، جعلتني أجلس، وجلست بجواري، حان الآن موعد المفأجاة! ماذا معك؟ لوح شوكولاتة آخر؟ لا، ماذا؟ كنت جالسًا مع أبي وأمي بالأمس، وأخبرتهم عنك، ياإلهي ماذا قلت لهم، وماذا قالوا لك؟ أجبني بسرعة. أخبرتهم: أنني أحبك، و أنني أريد الزواج منك، سكت وجاء في بالي ياإلهي إنه حدث ما لم يكن في الحسبان، لا أعرف أأفرح لأنه يحبني، ويريدني أن

أكون شريكته في الحياة، أم أحزن؛ لأنني أحبك وأنني لا أفكر في أحد سواك! إنني أحلم بك، وأستيقظ على واقع أنك لن تكون ملكي أبدًا وأني أريدك، لكني لا أعرف ماذا أفعل؟ ماذا أفعل؟ حرية: نعم يا يحيى. ما بك؟ لا شيء فأنا سعيدة للغاية! هل يمكنني أن أطلب منك طلبا؟ اطلب ما شئت، فلك عمري. هل يمكنني أن أمسك يدك الآن حتى أحتفظ بلمستك أثناء ابتعادك عني؟ يحيى: أرجوك خمس دقائق فقط، كيف يمكنني أن أرفض أمام عينيك! فأنا أيضًا أريد أن أحتفظ بلمستك. وضع يده بيدي، ومسكها بقوة، شعرت بأنني وصلت إلى السماء من ذلك الإحساس، الذي شعرت، لم أكن أعرف حينها أنني سأسقط من السماء إلى الأرض بقوة، لن أفوق منها، كانت الابتسامة مرتسمة على وجهي، وانظر خلفك، تجمدت الابتسامة على وجهي وتحولت إلى شهقة، وملأ الرعب عيني، وأخذت روحي تخرج من جسدي مع انسحاب يدي من يدك! ياإلهي ماذا أفعل؟! ماذا أفعل؟! أتمنى أن أموت الآن، وليت ما يتمناه الإنسان يتحقق! كان أخي واقفًا يملؤه الغضب، كانت عيناه تنطق بالشر، شعرت بأن أخي لا يشعر بشيء سوى أنه رآني ممسكة بيدي رجل، وأنا مخطوبة، وأنه سيغسل عاري بيده المجردتين، لم أشعر حينها بصوتك وأنت تسألني ما الأمر عدة مرات؟ أخبرتك بصوت متهدج إنه أخي، وتركتك ومشيت بسرعة البرق

حتى يلحقني أخي ويتركك في حالك، كاد رأسي ينفجر من التفكير، ماذا ستفعل يا أخي؟ حاولت السيطرة على نفسي، وذهبت إلى المدينة، وأخذت حقيبتي التي كنت قد حضرتها بالأمس، وأنا أتحدث مع يحيى، ياإلهي لقد نسيت يحيى، ياترى ماذا يجول في باله الآن؟! لا يهم الآن يحيى فيجب أن أذهب إلى بيتي في الصعيد الآن بكرامتي قبل أن يأتي أخي، ويأخذني من شعري حتى الصعيد، استقللت القطار، وأخذت في البكاء، لا أعرف ماذا أقول لهم؟ ستموت أمي بحسرتها، ويتأكد أبي أن وأد البنات كان يجب أن يستمر حتى الآن. كانت الرحلة من القاهرة إلى بيتي ثماني ساعات، تعبت فيهن من البكاء، واستغرقت في النوم، عندما استيقظت، كان يتبقى ربع ساعة وأصل، كنت متأكدة أن أخي لن يكون قد وصل البيت قبلي، ولن يكون أحد علم بشيء بعد، وستستقبلني أمي بابتسامة، وأبي سيرحب بي بحرارة حتى يأتي أخي وأرى ماذا سيحدث، غسلت وجهي بالمحطة، وحاولت تهدئة نفسي حتى لا يفتضح أمري الآن أمامهم، ورسمتُ الابتسامة على وجهي، عندما وصلت إلى باب البيت، أخذت أتنفس حتى أهدأ، وتخيلت وجه أمي البشوش يفتح الباب لي بابتسامة عريضة على فمها، فهدأت وابتسمت، وطرقت الباب، ونظرت إلى أسفل في انتظار أن تأتي أمي وتفتح الباب، لم أستوعب ماذا حدث بعد ذلك إلا عندما جاءت عيني بعين

أمي، وأنا أستنجد بهما عندما انفتح، أبي لم يمهلني الفرصة في أن أرفع نظري عن الأرض، جذبني إلى الداخل بقوة، أسقطني على الأرض، وشرع بضربي بجميع الوسائل، برجليه ويديه، كنت أحاول أن أحمي وجهي من ركلاته، رفعني عن الأرض، وصفعني على وجهي، وسحبني إلى غرفتي، وألقاني بقوة على أرضها، كان يقول كلامًا لم أستوعبه؛ بسبب صراخي المستمر، فصفعني مرة أخرى، فسكت من هول صفعته، خرج وأغلق الباب بالمفتاح من الخارج وهو يقول: ياليتني لم أحصل عليك يومًا، فانتزع قلبي من تلك الكلمة، أردت أن أسأله: ماذا فعلت ياأبي لكل هذا! أنا فقط أحب ولا أفعل أي شيء خاطئ، وأنا لا أفرق عن أخي في شيء، هو الآخر يحب، فلماذا لم تفعل به هكذا، عندما جاءك، وأخبرك أنه يحب فتاة من القاهرة، ويريد أن يتزوجها؟ فرحت كثيرًا وأخبرته أنه لا يناسب أحدًا مثله سوى بنت متعلمة مثلها. لماذا هذا التناقض معي أنا إذًا؟ أنا أيضًا أستحق رجلًا أفضل من فارس، أستحق رجلًا أحبه. لم أقابل في حياتي كلها يومًا أسوأ من هذا. لم يحدث أن قال أبي إنه لا يريدني، ولم يحدث أن نظرتُ لأمي وأشاحت بنظرها عني باشمئزاز، كنت مازلت على الأرض، وضعت رأسي عليها، وشعرت بالرطوبة التي تبعثها في وجهي، وأغمضت عيني، لعلي عندما أفتحها أجد كل هذا كابوسًا سيئًا، فاستغرقت في النوم.

لم أكن أستوعب مايدور حولي، مر يوم ونصف، وأنا مازلت على الأرض لا أتحرك، فقط أستيقظ وأبكي، ثم أنام مرة أخرى، لم يفتح أبي الباب، ولم يطمئن علي أو يقدم لي الطعام، أهكذا يعاقبني، ولماذا أمي لا تحاول الوصول إلي؟! بعد منتصف اليوم الثاني، حاولت الوقوف، استندت على جميع الأثاث في غرفتي، حتى وصلت إلى السرير، خلعت ملابسي؛ لأن كل جزء من جسدي كان يؤلمني، وكنت لا أطيق أن يلمس الكدمات التي ملأت جسمي شيء، ثم بعد ذلك دخلت تحت الغطاء، ونمت مرة أخرى، لا أعرف متى استيقظت، ولكني استيقظت على صوت أمي وهي تبكي بحرقة، فتحت عيني، فأشاحت بنظرها عني، حاولت تحريك يدي؛ لأمسك بيدها وأقبلها، وأخبرها أن تسامحني وأنني لم أفعل شيئًا خاطئًا، عندما وصلت أناملي لكف يدها، سحبت يدها مني بقوة، واعتدلت في جلستها وأمسكتني من ذراعي، وهزتني بقوة وسألتني: ماذا حدث بينك وبين هذا الفتى؟ أجبت بصوت منخفض: لا شيء ياأمي، صرخت في وجهي بقوة: هل ما زلت عذراء؟ فُجِعتُ من السؤال، وانهال الدمع على وجهي، ونظرت لها، كان رد فعلها أن صفعتني هي الأخرى، وسألتني هل أنت عذراء أم نمت معه؟ أفقت من ذهولي، وجلست، وصرخت في وجهها: نعم أنا عذراء يا أمي، لم يلمسني رجل فلا تقلقي. بضاعتكم سليمة. يمكنكم بيعها وأنتم مطمئنون،

وأشحت أنا هذه المرة بنظري عنها، خرجت لأبي، لا أعرف ماذا أخبرته، ولكنها أدخلت الطعام، وقالت لي أن آكل وأحصل على حمام، وأناديها؛ لتخبرني بشيء، لم أستطع أن أعارض، فكدت أموت جوعًا، أكلت بنهم، ودخلت الحمام، كنت أزيل عن جسدي ملابسي الداخلية بألم شديد، ودخلت تحت الماء، شعرت بالألم يجتاح جسدي عندما لمس الماء كدماتي، لم أكن نظرت إلى وجهي في المرآة بعد ما حدث، وعندما انتهيت من حمامي، نظرت إلى وجهي، وشرعت في البكاء بشهقات مستمرة، وجلست على الأرض، وأنا أبكي بصوت عالٍ كانت عيناي منفوختين ووجهي مليئًا بالجروح، فلم أستطع التعرف على نفسي، دخلت أختي فريدة الحمام مسرعة، لا أعرف متى وصلت إلى بيتنا؟ أعطتني المنشفة، وساعدتني في وضعها على جسدي، ووضعت يدها على خاصرتي، وأخرجتني، ووضعتني في الفراش، ظلت بجواري حتى هدأت، وساعدتني في ارتداء ملابسي، ومشطت لي شعري، وطلبت مني أن أكون قوية، حتى تخبرني أمي بشيء، هدأت وانتظرت، دخلت أمي، وجلست بجواري وقالت: لقد فكرنا أنا وأبوك ماذا سيكون الأفضل لك الآن، وقررنا أن حفل زفافك بعد أسبوعين، وأنك لن تكملي تعليمك بعد الآن، ولقد أخبرنا فارسًا بهذا القرار، وعندما سأل، ماذا جعلنا نغير رأينا؟

أخبرناه أنك مللت من الدراسة. أفهمتي؟ نظرت بعينيها، ثم وضعت رأسي على الوسادة، ولم أبك، أو أتكلم، ولا أفكر في شيء، كانت عيناي خاوية، وتعابير وجهي بلا مشاعر.

حرية

-15-

لا أستطيع تصديق أنك ستكونين بين يدي بعد أربعة عشر يومًا من الآن. سنكون معًا في بيت واحد، غرفة واحدة وننام على نفس الفراش! لن أجعلك تنامين على الفراش، فحضني سيكون فراشك، وملاذك من الليلة الأولى معًا إلى نهاية عمري في هذه الحياة، كم انتظرت هذا اليوم بصبر كبير طوال تلك السنوات الماضية، كنت أصبر وأصبر على فراقك وجفائك، ولكن الآن لا أستطيع أن أصبر أيامًا أخرى، فأنا أريدك الآن بين يدي. أريد أن أراك الآن؛ لأحضنك بقوة رجل مشتاق لسنين، ولكني أخاف أن أحطمك إن حاولت أن أعبر عن كامل شوقي إليكِ. لا أعرف لماذا منذ أنيت لم أرك، كلما جئت إلى بيتك طلبًا في أن ألمحك مارة أمامي، لا ألمحك، وعندما أسأل يخبروني بأنك تحضرين للزفاف، فأتخيلك، وأنت تختارين الملابس التي سترتدينها أمامي فأبتسم بسذاجة، وأتمنى أن أخبرك: لا ترهقي نفسك في شراء الملابس، فأنت لن تحتاجيها في حضوري، فأنا أريدك مثلما ولدتك أمك، أريدك عارية؛ لأري كل تفاصيل جسدك، وأدرس جزءًا جزءًا، أريدك عارية؛ لأترك بصمتي في جميع الأجزاء، وأعبر بفمي في كل ركن ومنحنى، فأنت زوجتي، وأفعل بك ما أشاء، فأنتِ لي أنا فقط.

كل ما بك ملكية خاصة مسجلة باسمي أمام الله، وجميع قبيلتنا. ياترى هل أنت فرحة أم حزينة؟ مؤكد أنك فرحة، لو ما كنت فرحة ما طلبت الزواج الآن.

-16-

لماذا تفعلين بي هكذا ياحرية؟ لماذا؟ فأنا أكاد أجن من الخوف عليك، لا أعرف ماذا حدث لك، إذا كنت فرحة أم حزينة؟ لا أعرف شيئًا، فأنت تدمريني هكذا، تقتليني بابتعادك بتلك الطريقة، فآخر كلمة قلتها لي: أخي، فهمت أن أخاك رآنا، فهمت من نظرة الرعب في عينيك من ارتعاشة يدك، وازدياد سرعة أنفاسك، لم تعطني الفرصة أن أخبرك بأن تعرفيني عليه؛ لكي أحدد ميعادًا؛ لمقابلة والديك لم تعطني الفرصة لذلك، قبل أن أنطق كنت أنت ضائعة مني في الزحام، حاولت الاتصال بك مرارًا وتكرارًا؛ لأسألك ماذا حدث؟ هل أنت بخير؟ وكان رد هاتفك أنه غير متاح. ياإلهي تبًا لك، وتبًا لهاتفك اللعين. لا أحد يعرف أين أنت. انتظرت أمام مدينتك الجامعية، انتظرت أصدقاءك، وسألتهن جميعًا عنك، كانت الإجابة دائمًا أنهن لم يروك منذ ذهبت معي، وأن ملابسك اختفت. لم أصمت عند ذلك، بل حاولت أن أصل إلى الإدارة؛ لأحصل منها على عنوانك حتى أذهب، وأطمئن عليك، ويحدث ما يحدث، وقتها فليقتلوني إذا أرادوا ذلك، ولكن الإدارة اللعينة لم تعطني أي معلومات عن مكانك في الصعيد. بهذا التصرف تقتليني وأنا حي، أصبحت لا آكل شيئًا، لا أشرب شيئًا سوى الماء حتى أستمر في البحث عنك، أطلقت لحيتي وصرت ألبس ملابسي مثل المجنون، لم يعد أحد يتعرف

علي، وهذا كله بسبب حبي لك، خوفي الدائم أن يكون أخوك قد أذاك بأي طريقة كانت. منذ يوم أصبح هاتفك متاحًا، كنت أعرف أنه لو كان أنت من فتحت الهاتف كنت اتصلت بي أولًا قبل أن تفعلي أي شيء، انتظرت أن تهاتفيني، أصبحت آخذ الهاتف معي في كل مكان، حتى عندما أدخل الحمام، وأضعه بجواري أثناء نومي، وأستيقظ كل نصف ساعة خوفًا من أن تكوني هاتفتني، وأنا مستغرق في النوم. لم يجعلني شيء أبكي سواك، لم أنتظر أحدًا بتلك الطريقة، صرت أقرأ رسائلك القديمة، وأبكي كنت أتمنى الآن رسالة منها واحدة فقط، فأنا أصبحت أحفظ رسائلك عن ظهر قلب، حبيبي لقد استيقظت، أنا أشتاق لك كثيرًا، لا تنسَ صلاتك، أحبك، كل طعامك كله، ياإلهي أين أنت يامعذبتي؟ أقسم أنني لن أغضبك مرة أخرى لن أرفع صوتي عليك أبدًا، لن أفعل شيئًا بعد ذلك. سأطيع أوامرك كلها، ولكن عودي إلى هنا، طمئنيني عليك.

-17-

لا أعرف متى سيخرجوني من تلك الغرفة، مضى أسبوع وأنا محبوسة بها، لا أذهب سوى إلى الحمام، وأرجع إليها مرة أخرى، لا أعرف ماذا يدور في الخارج، من يأتون، من يذهبون لا أعرف، فأنا فقدت ذلك الأسبوع من حياتي، لا أتذكر سوى أنني لم أرَ ضوء الشمس منذ أسبوع، حتى نور غرفتي، لا أضيئه، وعندما تفتح أمي الباب؛ لتدخل الطعام لي لا أطيق الإضاءة الآتية من الخارج، فأصرخ عليها بأن تغلق الباب، فأنا لا أريد طعامًا، وأريد أن تكون غرفتي مقبرتي الخاصة بي. ألا يوجد احترام للموتى مثلي في بيتنا هذا؟! ألا أستطيع أن أرتاح خلال موتي وأنا حية؟! لماذا لا يتركون روحي تخرج مني في سكون بدون ضوضاء منهم؟! دائمًا يزعجوني، وأكثر ما ضايقني في ذلك الأسبوع، عندما كانت أمي تجمع بقايا المرآة التي كسرتها، كانت تنطق بكلام كثير، كنت أريد أن أصرخ في وجهها، أخبرتها بأنني حرة أكسر ما أشاء، أليس لي حرية في هذا أيضًا؟! لو كان بيدي لجمعت جميع المرايا وكسرتها، الواحدة تلو الأخرى؛ حتى لا أرى تلك الفتاة التي أراها عندما أنظر من خلالها، فأنا أخاف منها، فشعرها أشعث، تحت عينيها سواد وكأن أحدًا أخذ قلمه الأسود، ودار به حول عينيها مرات متتالية، حتى أنني لا أميز عينها السوداء من السواد حول عينيها، كنت أريد أن أسألها لم وجهها شاحب هكذا؟ أهذا هو

شحوب الأموات؟ أهي شبح؟ هي حية أم ميتة؟ أم أنا فقدت عقلي؟ وما كان يصبرني على هذه الحياة هو أنت. نعم أنت يايحيى؟ لا أعرف كيف دخلت غرفتي؟ كيف سمحوا لك بهذا؟ لا يهم سوى أنك معي، عندما أبكي تنام بجواري في الفراش، تضمني إلى صدرك، وتداعب شعري بيدك، وأنا أقص عليك ما يحدث معي، فتخبرني أن لا أحزن وتلقي على مسامعي إحدي نكاتك، فأنطلق في الضحك بصوت عالٍ، وأنام في النهاية، وعندما أستيقظ ولا أجدك مستلقيًا بجواري، أنادي عليك، فتأتي، لا أعرف من أين تأتي ولكنك موجود هنا، تحثني إلى أن آكل. أتعلم؟ كنت أرفض في البداية أن تدخل الحمام معي وأنا أستحم، ولكن الآن أمسك بيدك حتى تدخل معي، وتزيل ملابسي عني، وتساعدني في الاستحمام، وتدغدني، فأصرخ، وأنا أضحك بصوت عال. لا أعرف لماذا تسألني أمي إلى من أتحدث؟ ودائمًا تسألني من هو يحيى؟ فأشير إليك، ولكنها تقول إنها لا تراك، لا أعلم لماذا تكذب أمي؟ كيف تقول إنك غير موجود؟!

-حرية

-أغلقي النور يا أمي، لا أستطيع أن أرى، وأريد أن أنام.

-استيقظي، الآن ستخرجين أنت وفريدة.

-لا أريد الذهاب إلى مكان، فالمكان الوحيد الذي أريد أن أذهب إليه هو الجحيم.

-سأتركك لتذهبي إلى الجحيم، بعدما تأتين من الخارج.
جاءت في رأسي فكرة، وجلست على الفراش بسرعة كبيرة.
- إلى أين؟
-ستذهبين؛ لتختاري فستان زفافك، وملابس داخلية، وأشياء أخري وتمري على شقتك المستقبلية؛ لتري الأثاث الذي اخترناه لك.
ضممت رجلي إلى صدري، ونظرت في عيني أمي، وسال الدمع من عيني في هدوء، وعصر قلبي وانقبض، شعرت بالموت يحوم حولي، خفضت بصري عن أمي، وقلت حاضر ياأمي، سأخرج لأختار كفني، وأرى قبري إذا كان ملائمًا لي أم ماذا؟ سأساعدك في ارتداء ملابسك. لا أريد مساعدة أحد، فأنا سأرتدي بمفردي. خرجت أمي، ففكرت في الفكرة التي جالت في بالي عندما أخرج مع فريدة، سآخد هاتفها، وأقوم بالاتصال بيحيى حتى أطمئنه، وأستمع إلى صوته حتى تهدأ روحي، لعلي أجد استقرارها بسماع صوته، إما أن تخرج، وتريحني، وأما أن ترجع إلى وضعها الطبيعي؛ لأنني قررت أن أخبرك الحقيقة، ولتفعل ما تشاء، إما أن تقتلني بخنجر انسحابك من حياتي، أو تجد معي حلًا.
ارتديت عباءتي السوداء، وطرحة سوداء، وخرجت، رأتني أمي، فشهقت: ما هذا ياحرية؟! أتريدين أن تقتليني بأفعالك؟! ما هذا الذي ترتدينه؟! إنها ملابس يا أمي، ماذا لو رآك فارس بهذا الشكل؟! ماذا يقول الناس؟! فليذهبوا

جميعًا إلى الجحيم! إما أن أخرج هكذا، أو لن أخرج. اخرجي هكذا ياحرية، وكان الله في عوني، جاءت فريدة أثناء أن حكيت لها عنك، وعن علاقتنا جاهدت؛ لأحصل على عطفها، بكيت من قلبي، وطلبت منها الهاتف؛ لأحدثك، رفضت، بكيت أكثر، حتى أعطتني الهاتف، ودخلت أحد المحلات، وتركتني أنا؛ لأهاتفك خارجه، عندما أمسكت بهاتفها، دق قلبي بقوة، أخذ يخفق ويخفق، فأنا سأستمع إلى صوتك بعد ثوان معدودة، كتبت رقمك الذي أحفظه عن ظهر قلب، انتظرت .ردك، وكانت تلك الدقيقة قد مرت كالدهر، انتظرت، وانتظرت، حتى فقدت الأمل في أنك ستجيب، نظرت إلى الهاتف، ولا يوجد رد، هاتفتك مرة أخرى، وأنا أدعو أن تجيب. ألو، توقف قلبي، حاولت أن أستجمع الكلمات؛ لأجيبك، لكن الكلام توقف في حلقي، ياإلهي اشتقت إلى صوتك كثيرا، كدت أموت، وصوتك أحياني، فهو الدواء بالنسبة لي، ألو . ألو. يحيى. ياإلهي حرية حرية، حبيبتي هل هذا أنت، أم أنا أتوهم صوتك؟! يحيى إنه أنت، أنا لا أحلم، أين أنت؟ هل أنت بخير؟ ماذا حدث؟ أين كنت في هذه الفترة؟ هل أذاك أخوك؟ أجيبي.

لا، لا تجيبي، يكفي أن أخبرك أني اشتقت لك حد الهذيان، تمنيت الموت في كل لحظة وأنت بعيدة عني، تكلمي فأنا أريد أن أستمع إلى صوتك حتى أعيش عمرا على

عمري، سأتزوج. ماذا؟! ماذا تقولين ياحرية؟! أنا سأتزوج الأسبوع المقبل، يحيى، يحيى، أجيبني بالله عليك، لا يمكنك أن تفعلي بي هذا، أقسم لك سآتي إلى بيتك غدًا، وأطلب يدك للزواج، سأدفع المهر الذي يريده أهلك، سأفعل ما يريدون، ولكن لا تفعلي بي هذا، استمع إلى ما أقول يايحيى، قبل أن تقولي شيئًا لا يهمني ما ستقولين، فقط أخبريني بعنوانك. استمع إلي، ففي قبيلتي لا يمكن للفتاة أن تتزوج سوى ابن عمها، وإن لم تتزوجه، فأن تكون عانسًا خير ألف مرة أن تتزوج من خارج القبيلة، وتخطب له حتى قبل أن تولد. ماذا تقولين؟ هل كنت مخطوبة وأنت معي؟! لماذا أنت صامتة؟ أجيبيني. نعم كنت مخطوبة. يحيى، يحيى قل شيئًا. ليس هناك ما يقال، أرجو منك أن تغلقي الخط الآن. يحيى أنا أحبك أنت، لا أريد أحدًا سواك، لن يكون فرحي بل ستكون جنازتي، أرجوك ساعدني، انتهى الأمر، ياألله! لقد أغلق الخط في وجهي تبا لغبائي لماذا أخبرته بأنني كنت مخطوبة الأن، ياليتني ما أخبرته، ولكن كيف كنت سأخدعه أكثر من هذا! لقد أصبحت أكره نفسي لخداعي له.

*****

نظرت إلى القميص الذي تمسكه فريدة في يدها، وقطعة الملابس الداخلية الملتحقة به، وأدركت أن ذلك القميص هو مستقبلي، وفراش فارس هو منزلي، ولن يساعدني أحد

لتغيير ذلك المستقبل، ولأتقبل ذلك وأرحم نفسي من ذلك العذاب.

جاءت في بالي فكرة أخرى. دخلت إلى فريدة. قالت: ماذا حدث؟ لا شيء فإنه لا يستحق بكائي وإنني سعيدة؛ لأنني تخلصت منه، ولا أريد أن أتحدث عنه مرة أخرى. هذا هو الأفضل لك. مارأيك في ذلك القميص؟! سيظهر جميع مفاتنك هل تريدين شراءه؟ نعم. أريد فأنا سأشتري كل ما يجعل فارس مجنونًا بي، ولنشترِ ذلك الأحمر هناك. اشتريت ألوانًا وأشكالًا كثيرة، كنت أعلم بداخلي أنني لن أرتديها له؛ لأن جسدي ومفاتنه ملك ليحي فقط. لم يتبق شيء سوى كفني، أي فستان العرس، ناصع البياض الذي سيتلوث بدمائي بعد أول ليلة مع فارس، بعدما يأخذ فارس شرفي، كان يراودني دائمًا سؤال: إذا كان غشاء البكارة هو رمز لشرفي، فبعدما يأخذه فارس هل سأكون بلا شرف؟!

*****

ذهبت إلى متاجر عديدة؛ لأختار فستان فرحي، ارتديت العديد من الفساتين، حتى وقع الاختيار على ذلك الفستان التعيس الذي سيعيش معي أسوأ يوم مر بي، لو كان الفستان يتكلم ويختارني كما أختاره، لرفضني بشدة وابتعد عن طريقي مسافات! فلماذا يرضى أن يكون ملكًا لبائسة مثلي؟! كان في منتهى الجمال ببياضه الناصع،

و تفرده بين الفساتين الأخرى بتعقيده، كان أكثرهم تعقيدًا، من ينظر له لا يفهمه جيدًا يحتاج إلى خبير؛ ليفهم تناسقه، وتقاطع أقمشته، شعرت بأنه يجسدني، اخترته بلا تفكير، ارتديته، ونظرت إلى نفسي في المرآة، وتمنيت أن يكون ذلك الفستان درعًا لجسدي من يدي فارس، وأن يقف حائطًا بيني وبينه. فارس نعم يجب أن أذهب إلى جحيم الزوجية؛ لأراه إذا كان ينقصه شيء، وأرى فارس؛ لأحاول أن أحدثه لتأجيل الزفاف هل يمكن أن يوافق؟ هل أخبره أنني أحب شخصًا آخر؟ أم أقنعه أن تعليمي هو ما يهم؟ لا أدري. ذهبت إلى منزلي، أولا قمت بتغيير ملابسي، ارتديت أكثر ملابسي توضيحًا لجسدي، وحاولت إخفاء ما تحت عيني، وخرجت لأمي، وأخبرتها أنني ذاهبة مع فريدة؛ لأرى شقتي الجديدة، و لأرى فارسًا، فرحت أمي بشدة، وسمحت لي بالذهاب، لقد مر وقت طويل على رؤيتي لفارس، فأنا كنت أتجنب أن أراه بشتى الطرق، ولكني الآن أذهب له بقدمي لأقف أمامه، وأطلب منه أن يطلق سراحي، وأن يتركني لأكمل تعليمي، وأنهي حياتي بجوار يحيى، سأحاول أن أتكلم معه بعيدًا عن فريدة حتى لا تسمع ما أقول، وتحاول التأثير على قراري، رغم أنها ترفض زواجي بداخلها؛ لما حدث لها مع ذلك الأحمق الذي يطلق عليه اسم زوجها. ما أن وصلت، ورأيت فارسًا حتى توجس قلبي، وملأه الخوف، فهو في النهاية رجل

صعيدي، تهتز عند قدمه أجساد النساء؛ خوفًا من جبروته ونظرات عينه الجادة دائمًا، حاولت أن أخفي ما يجول بخاطري عنه، فرسمت ابتسامة عريضه على وجهي، وتوجهت إليه بخطوات مائلة، كنت أشعر بأن عينيه تحتضنني قبل أن أصل إليه، فكانت عيناه تفعل ما لم تقدر يده على فعله.

-مرحبا يافارس.

- مرحبا بك ياحرية. اشتقت لك كثيرا، لقد حاولت رؤيتك كثيرا، ولكنك مشغولة دائمًا بتجهيزات العرس.

- آه، نعم كنت مشغولة، فأنت تعلم المسئوليات الكثيرة التي على عاتقي، ليس هذا ما جئت أحدثك عنه.

- ما الأمر ياحرية؟

-أنا لا أريد أن أتزوج الآن يافارس.

-ماذا تقولين؟! أجننت أنت؟! لقد تم ترتيب كل شيء، ولم يعد شيء ناقصًا سوى أن أكون أنا وأنت في مكان واحد، ولن أؤجل حتى وإن اقتربت السماء على الأرض.

- استمع لي قليلًا من فضلك.

-أنا منصت. كيف لي أن أتحدث وأنت متجهم بتلك الطريقة؟! فلنجلس أولًا، وأعد لك كوبًا من الشاي.

-لك ما تريدين.

ذهبت لتحضير الشاي، وقلبي يملاؤه الرعب، ومن توجسي الشديد أسقط الكوب، فارتطم بالأرض بقوة، وتبعثر في

جميع أنحاء المطبخ، وانحنيت حتى أجمع قطع الزجاج فتحرك الحجاب من شعري، وتركه على وجهي، وعندما دخل فارس ليسألني ماذا حدث، وجدني منحنية، وشعري على وجهي يغطيه، اقترب مني، وأمسكني، وجعلني أرفع وجهي له، واقتربت أنامله من وجهي؛ ليزيح شعري، كانت لمسته حانية، ونظر إلى عيني، وابتسم، وقال: ياإلهي! هذا الجمال سيكون لي بعد أيام قليلة؟! واقترب مني كثيراً، تجمدت رعباً، كادت شفتاه أن تلمس شفتاي، جذبني إلى صدره، تحركت مسرعة بعيدًا عنه، وكأني قمت بمشاهدة أفعى، وشرعت في البكاء، وانهمرت دموعي على وجهي بغزارة، نظر إلي، وقال: ماذا حدث ياحرية؟ قالت: كيف لك أن تقترب مني هكذا؟! قال: أنا زوجك، وأنا إنسان أشعر بك بجميع خلايا جسدي، فأنت ملكي من يوم ميلادك، فكيف لي أن أمنع نفسي عن لمسك؟! نظرتُ له بنظرات حادة: أنا لست ملكًا لك، أنا لا أحبك، وأنا أحب آخر اسمه يحيى، ولن أكون لك يومًا.

وانطلقتُ بأسرع ما تستطيع قدمي القيام به، بحثتُ عن فريدة، حتى وجدتها، أمسكتها من يدها، وقمت بجذبها خلفي، لم أتحدث عما حدث مع فارس إلى أي شخص حتى فريدة، ياإلهي! ما الذي حدث؟! كيف قمت بإخباره أنني أحب شخصًا غيره؟! سيقتلني، أنا أعلم أن هناك خيطًا رفيعًا بين أن تحب أحدًا وأن تجن به، وأن يكون لديك

حب امتلاك له هوس به أنه لن يكون لأحد غيرك مهما حدث، وفارس في هذه المرحلة الآن، أتمنى ألا يقوم بشيء أحمق، وياليت كل ما نتمناه يتحقق.

-18-

وجدتها منحنية تجمع بقايا الزجاج، لم أشعر سوى أنني بمفردي معاها، وأن هناك شيئًا يجذبني إليها، اقتربت، كان شعرها على وجهها ناعمًا يغريني للمسه؛ لإبعاده عن وجهها، وشجعني على الاقتراب منها بأنها ملكي، شعرها، شفتاها، جسدها ملكي، قمت بإيقافها، واقتربت منها، نظرت بعينها، سحرتني، وجذبتني إلى أن أنظر إلى إعجاز الله في رسمة شفتيها، اقتربت أكثر وأكثر؛ كي أتذوق ريقها وأستمتع بحلاوته، فجذبتها إلى صدري؛ حتى تشعر بالأمان، ولأفعل أنا ما تاقت له نفسي لسنوات، لم أستوعب ما حدث بعد ذلك سوى أنها تبكي أمامي، احترت، حزنت، وأخيرًا، كرهت نفسي؛ لأني جعلتها تبكي، سألتها ما بك؟ وأخبرتها بأنني زوجها، لم أعلم أن إجابتها ستحول حياتي إلى جحيم، ولم أتوقع تلك الإجابة: أنا لا أحبك، وأحب شخصًا آخر. ياإلهي! ماذا قالت تلك البلهاء؟! عن حب رجل آخر؟! كيف تفعل برجل مثلي ذلك؟! كيف تجعل مني مغفلا؟! لم أعد أفكر سوى في رؤية ذلك الرجل الذي جعل قلبها يدق له، وتعشقه إلى حد أن تقف أمام رجل صعيدي وهي تعرف ما معنى صعيدي! كيف لها أن تحبه في سنة، وأنا أحاول الحصول على حبها منذ ميلادها؟! أشعر بأنني أحلم، وأن الألم الذي يملأ قلبي وهم وسينتهي بعد قليل، جلست، ووضعت يدي على وجهي، حاولت التماسك

وجمع أفكاري المشتتة، ولكن عيني قامت بخيانتي، وذرفت أول دمعة منذ زمن طويل، من أجل الحب من أجل حرية، التي جعلت رجلا صعيديًا يبكي. لن أكون ضعيفًا في حبها بعد الآن، ولن تكون ملكًا لأحد غيري، وإن اقتربت السماء من الأرض، وإن لم ينفع الحب والحنان معها، فسأريها معنى القسوة، معنى أن تقوم بخيانتي، وأنا رجل شرقي من أخمص قدمي إلى أعلى رأسي.

-19-

مر يومان منذ واجهت فارسًا، ولم يلغ الزفاف، أو أن قام بمواجهتي؛ لمحاولة الحصول على أجوبة عن طبيعة علاقتي بيحيى، كاد عقلي أن ينفجر، وأنا حائرة بين فارس، و يحيى والزفاف الذي اقترب موعده كثيرًا، وأنا لا زلت لا أعرف ماذا أفعل؟ دخلت أمي وقالت: ارتد ملابسك. لماذا؟ سنذهب جميعًا إلى بيتك؛ لنقوم بتنظيفه؛ لكي ننقل الأثاث غدًا. أمي أنا مرهقة كثيرًا، اذهبوا، وأنا سوف آتي في وقت لاحق من اليوم. لك ما تريدين، وحاولي أن تريحي جسدك لأجل الغد، وسأرسل فريدة؛ لتأخذك إلى بيتك بعد صلاة العصر، وخرجت أمي وتركتني بمفردي؛ لأريح جسدي المرهق، قمت بالاستلقاء على الفراش حتى استغرقت في النوم، استيقظت قبل العصر بقليل، دخلت الحمام، وقمت بالاستحمام، وعندما خرجت، ارتديت ملابسي الداخلية، وعباءة فضفاضة، حتى أختار ما سأرتديه؛ لأذهب مع فريدة. سمعت طرقات متواصلة، فذهب .لأفتح لفريدة، قمت بفتحه، وأدرت وجهي للباب قبل أن أرى فريدة، فتوجهت لها بالحديث، أمهليني ربع ساعة، وسأنتهي من تجهيز نفسي، ودخلت الغرفة، سمعتها تغلق الباب، ولكني لم أتلقَّ منها ردًا، فاستدرت لأرى ما بها، وقع قلبي بقدمي، وتسارعت دقاته، فكنت أسمعها بوضوح، كان فارس عند باب الغرفة مستندًا عليه، اخرج من غرفتي حالًا.

هل جننت؟! حاولت ستر جسدي، وشعري، انتظرت أن يخرج، ولكنه لم يخرج، رأيت الشر في عينيه، علمت أنه ينوي أذيتي. ماذا فعلت مع هذا الحقير؟ لا أفهمك! لقد عرفت أن أخاك رآك وأنت ممسكة بيديه، أخبريني ماذا حدث؟ أيضًا كان يتحدث بصوت يملؤه البرود، ومع كل كلمة تمس شرفي أصاب بجرح في قلبي، أنا أعرف جيدًا أنك لا تستطيع أذيتي، اقترب مني ببطء وهو يتطلع إلى جسدي، وتزداد الشهوة بعينيه، لم أتحرك من مكاني، فيعرف أن قدمي لا تستطيع حملي من كثرة الخوف الذي يملأ جسدي، حاولت أن أتخذ مبدأ السياسة معه حتى أعيد إليه عقله. فارس: أخبرني، ماذا تريد؟ أريد ما هو حق لي منذ ميلادك، أريد أن أتذوق رحيق شفتيك، أريد أن أمتلك جسدك. ألا تستطيع أن تنتظر أيامًا قليلة، وسأكون ملكًا لك في منزلنا؟! نظر إلى وجهي باحتقار: لقد انتظرت كثيرًا، وكانت النتيجة أن أحدًا غيري أخذ ما هو ملكي، اقترب كثيرًا مني، وأنا لا أتحرك، وضع يده على كتفي، وجذبني إلى جسده، وضعت يدي أمام صدري في محاولة للابتعاد عنه، نظرت إلى عينيه، بكيت، تأسفت، وصرخت، لم يكن يسمع سوى رغباته الحيوانية، وأنا لم أشعر سوى بيده التي تنهش جسدي، وتعبث بأركانه، استجمعت جميع القوى التي أستطيع أن أحصل عليها من جسدي، وقمت بدفع جسده بعيدًا عني، وخطوت بقدمي؛

استعدادًا لأن أخرج مسرعة من الغرفة، جذب شعري بقوة إلى أن شعرت أن رأسي يكاد يتحرك من مكانه، ألقاني على الفراش، وفي محاولة بائسة أخرى للدفاع عن جسدي، ضممت قدمي إلى صدري، ودفعته بكل ما أوتيت من قوة، فارتطم بالحائط بقوة، أصيب بالغضب الشديد، أصابه الجنون، وقف، واقترب مني، وانهال على وجهي ضربًا حتى اختفى صوتي من كثرة البكاء، فقد وجهي جميع التعبيرات، وفقد فمي صوته، وارتخى جسدي، اقترب بأنفاسه الكريهة من وجهي، وضع شفتاه على شفتاي، ولكنه لم يتلقَّ أي استجابة أو مقاومة، فأنا أصبحت جثة هامدة، زاد غضبه؛ لبرودي، فصفعني على وجهي، ونزلت شفتاه على عنقي، وقام برفع جلبابي، أغمضت عيني؛ حتى لا أرى ما يفعل، حاولت أن أفتحها مرة أخرى حتى أجد أن هذا كابوس بشع، وأنني نائمة في سلام، لم تكد عيناي ترى نور الغرفة حتى أغمضتهما بشدة، وانطلقت صرخة مدوية من حلقي، لقد شعرت بتمزيق جزء من جسدي، شعرت بالدماء تسيل على قدمي، وجرح لا أقدر على تحمل ألمه، بكيت من كثرة الوجع، ومازال فارس لا يشعر سوى بثقل جسده على جسدي، فقدت الوعي؛ لعدم قدرتي على التحمل. استيقظت، لا أعرف كم من الوقت مضى، نظرت إلى جسدي، لم أجد شيئًا يغطيه كان ملوثًا بالدماء، وحول صدري كدمات، حاولت الجلوس؛

لاستيعاب ما حدث، لكن جسدي رفض الاستجابة، استلقيت مرة أخرى؛ حتى يستعيد جسدي قواه؛ حتى أتحرك، أسندت رأسي على الفراش، وانحدر الدمع من عيني في صمت، كان عقلي لا يستوعب ما حدث، كان في حالة صدمة، لم أستطع التفكير جيدًا، كنت أريد الصراخ، البكاء، الانتحار، لكني أصبت بالتبلد، حاولت مرة أخرى أن أجلس؛ لأذهب إلى الحمام؛ لكي أغتسل قبل أن يأتي أحد، جلست، وعند محاولتي للوقوف أصابني ألم حاد في الجزء الأسفل من جسدي، لم أستطع المشي من شدة الألم، ولكني ضغطت على نفسي، حتى وصلت إلى الحمام، قمت بتغطية جسدي بالمياه في محاولة غسله من لمسات ذلك الحقير وأنفاسه البشعة، استخدمت جميع المطهرات حتى أزيل رائحة جسده عني، انتهيت من الاستحمام، خرجت، ارتديت أكبر عدد من الملابس؛ حتى لا يرى أحد الكدمات التي ملأت جسدي، قمت بتغيير شراشف الفراش؛ لإخفاء الدم، غسلتها جيدًا، وفرشت أخرى، محوت معالم ما حدث واستلقيت على الفراش بانتظار ما سيحدث تاليًا، فأنا سأخفي ما حدث عنهم؛ لأنه لا أحد سوف يصدق ما أقول، وسأتزوج من ذلك الحقير بعد بضعة أيام وانتهي الأمر. حاولت إقناع نفسي أنها دخلتي، وكانت مبكرة عن موعدها.

-20-

-حرية، استيقظي ياابنتي، لقد مر على نومك الكثير من الوقت.

-اتركيني أنَمْ بضعة دقائق أخرى.

-استيقظي ياعروسة.

وضعت الغطاء على وجهي، وشرعت في البكاء، لقد اشتقت إلى يحيى كثيراً، أتمنى أن أراه، أن أحدثه، جميع آمالي في محاولة الهروب كفنتها ودفنتها، كيف لي أن أهرب الآن؛ لأتزوج يحيي وأنا أصبحت بضاعة فاسدة، بضاعة مستخدمة من قبل؟! ماذا سيحدث إن أخبرت يحيى بما حدث؟ فهو يحبني جدًا، لن يهتم بأمر كهذا، سيهتم فقط بأن أكون معه، سأحاول سرقة هاتف من فريدة؛ لأحدثه، وأخبره، وأقنعه أن يأتي إلى هنا؛ لأهرب معه. دخلت أمي، و جلست: اسمعي يا ابنتي، لقد أصر أخوك على أن تدخلي دخلة بلدي؛ حتى يطمئن قلبه، و ها أنا أخبرتك؛ حتى لا تعارضي فيما بعد.

انقبض قلبي، لا أستطيع أن أتنفس، واحمر وجهي، اعتقدت أمي أنني خجلة فقط، فقالت: لا تخجلي. لن يقوم بذلك شخص غريب.

وخرجت من الغرفة وتركتني، أخذ جسدي في الارتعاش، ماذا أفعل؟! ماذا أفعل؟! لو تعلمين يا أمي أن تلك الجلدة التي يقال عنها شرفي أخذها ذلك الحقير! ياإلهي! يجب أن

أتحدث إلى يحيى الآن؛ حتى ينقذني من تلك المصيبة.
فريدة يافريدة. نعم ياحرية، أعطني هاتفك، فأنا أريد أن أدعو إحدى صديقاتي على العرس، ها هو ادعِ من تشائين.
أعطتني الهاتف، ضغطت على أرقام هاتفك بأصابع مرتعشة، خوف يملأ جسدي، وقلبي يكاد أن يمزق أضلعي ليخرج، وضعت الهاتف على أذني، وأغمضت عيني؛ كي لا أشعر سوى بصوتك؛ لأستمع إلى أنفاسك وأتخيلك أمامي، بابتسامتك الجذابة، نظراتك الحانية، وعينيك الساحرتين، سمعت صوتك، هدأ جسدي كأنه أخذ كمية هائلة من المهدئات، وابتسم ثغري دون أن أشعر بذلك.

-ألو.

-أزيك يايحيى؟

-حرية؟!

-لماذا أنت مستغرب هكذا؟! هل كنت تعتقد أنني خرجت من حياتك بلا رجعة؟! هل تتمنى ذلك؟!

-نعم. أتمنى ذلك، ياليتني لم أقابلك لم أعشقك إلى ذلك الحد. أتمنى ألا يدق قلبي هكذا عند نطق اسمك.

- هل توقفت عن حبي؟

-إن أشرقت الشمس من الغرب، وظهر القمر في الصباح سأتوقف عن حبك.

-لماذا لم تحاول الوصول إلى أن تعرف ماذا حدث؟ أن تسأل عن أحوالي؟

-أنا رجل شرقي، لا آخذ ما ليس لي، لدي كرامة لن أفقدها أبدًا من أجل فتاة.

-لماذا أنت متناقض هكذا؟!

-لا يتناقض سوى العظماء.

- يحيى: أنا مازلت أحبك، لا أريد أحدًا سواك، وأنا لم أكن ملكًا له أبدًا، فأنا دائمًا ملك لك، أرجوك يايحيى، أخرجني من ذلك الكابوس، ساعدني على الهرب.

-هل أنت مستعدة للهرب من أجلي؟!

-أنا مستعدة لأن أغزو بلادًا، وأقف أمام العالم من أجلك أنت، وفقط أنت، ياإلهي! إني أحبك حد الموت، كم تعذبت في بعدك! كنت أعاني من وجع القلب، لا أريد أن أجرب ذلك الإحساس مرة أخرى، لا أستطيع أن أفقدك مجددًا.

-سأساعدك على الهرب، ونتزوج، وأنجب طفلًا يشبهك في كل شيء.

-هناك أمر يجب أن أخبرك به.

-لا. ليس الآن، أنا فقط أريد أن أسمع كلمة أحبك منك، لا أريد أن أستمع إلى سواها.

-أحبك.

-وأنا هائم في حبك.

عندما انتهت المكالمة، كنت قد اتفقت معه على كل شيء، خرجت من الغرفة، غسلت وجهي، وأثناء دخولي، جاءت أمي وأخبرتني أن فارسًا بالخارج، يريد أن يراني حتى يتفق

معي على بعض الأشياء، ارتعش جسدي، ودخلت إلى غرفتي؛ لأبدل ملابسي، وتذكرت لمساته، فكرهت جسدي، أنا امرأة قوية، يجب أن أشعره بذلك، لا يجب أن يرى الخوف في عيني، كل ما أريد أن أراه، هو نيتي على الانتقام منه، أن أجعله يتمنى أنه لم يولد أبدًا، اقتربت منه، وضعت يدي خلف ظهري؛ حتى لا أنهال على وجهه ضربًا أمام الجميع، حاولت إخفاء مشاعري، ونجحت في ذلك، جلست في المقعد المقابل له، دخلت أمي إلى الداخل؛ لتحضر الشاي، وقف على قدمه وابتسم ابتسامة المنتصر، وخطا نحوي، وقفت أنا أيضًا، وقبل أن يقترب مني، رفعت يدي إلى أعلى، وصفعته على وجهه بكل ما في جسدي من قوة، وقلت له: إياك أن تقترب مني أيها الحقير،

جلس مكانه، نظر إلى وجهي ببرود، وقال: هل تعتقدين أنك ستنجين بفعلتك؟!

سيكون الرد مني عقابًا، أهين كرامتك به ياحلوتي أجعلك تزحفين على قدميك أمامي حتى أسامحك، سألغي الزفاف، لن أتزوجك بعد الآن، و دعيني أرَ كيف ستتزوجين؟!

-اخرج أيها الوقح من المنزل، لا أريد أن أراك أيها الحقير، اخرج، هيا اخرج،

وشرعت في دفعه إلى الخارج حتى خرج من الباب، وأغلقته خلفه بقوة، وسقطت على الأرض، وشرعت في البكاء الحاد كما أتمنى الموت الآن. جاءت أمي مسرعة

حتى ترى ماذا حدث، وجدتني فاقدة الوعي، نادت على من في المنزل تستنجد بهم، فحملوني ووضعوني على الفراش، وانتظروا بجواري حتى أفقت، وكان أول شيء سمعته عند فتحي لعيني هو: ماذا حدث مع فارس ياحرية؟

-لم يحدث شيء، اتركوني بمفردي، فأنا مرهقة للغاية، فأقنعتهم فريدة بالخروج.

*****

ترقيع غشاء البكارة! تجول هذه الفكرة في رأسي عندما قررت أن أهرب مع يحيى، أنا أعرف أنها عملية بسيطة ليس بها خطر على حياتي، وبعدها سأرجع كما كنت، بنت بنوت، ولن يعرف أحد ما حدث أبدًا، وسأعيش في سعادة مع يحيى، ولكن ماذا سيحدث في داخلي؟! هل سأسمح بخداع يحيى مرة أخرى؟! أنا سئمت من كثرة الأكاذيب. لن أكذب عليه بعد الآن، هو يحبني، لن يفرق معه أمر كهذا بالتأكيد، ثم إنه قد صارحني بعلاقاته الجنسية، وأنا غفرت له؛ لأنني أحبه، وتمنيت من الله أن يغفر له، وساعدت يحيى في التقرب من الله، والتوقف عن المعاصي، وبالتأكيد هو لن يفرق معه سوى أن أكون معه .

يحيى: نعم. هل تتذكر هذا الأمر الذي كنت أريد أن أخبرك أياه؟ أتذكر ما هو هذا الأمر؟ نظر في عيني منتظرًا أن أتكلم، رأى الخوف بعيني، مسك يدي ورفعها إلى

شفتيه، وقبلها بهدوء، وهو ينظر إلى عيني، وقال: لا تخافي ياحرية، أخبريني عن الأمر، وأنا سأتقبله بصدر رحب دون غضب، المهم أنك فضلت إخباري عن إخفاء الأمر عني. شرعت في البكاء الحاد، وأخذ كل من حولنا ينظر إلينا باستغراب. اهدئي ياحبيبتي. ما الأمر؟ لا تجعليني أتوجس خوفًا، سأخبرك، لكن بالله عليك لا تتركني. لن أتركك بعد الآن. لا تخافي، شرعت في سرد ما حدث بصوت متهدج من كثره البكاء، رأيت الكره في عينه والاشمئزاز، وسحب يده من يدي بقوة، ونظر إلى جسدي نظرة حارقة، وكأنني عارية أمامه، وقف، أمسكت بيده: لا تذهب أرجوك، فأنا أحبك، لا أستطيع العيش بدونك، أرجوك يايحيى، أنا لن أتزوج امرأة لمسها أحد من قبل، فأنت لم تعودي ملكي. وذهب بأسرع ما يمكنه، تركني بمفردي أنظر إليه كمن أصابه صاعقة، تركني امرأة لا ماضي أو مستقبل لها، ضائعة، وحيدة، بائسة ليس لديها حماية، تذكرت كيف هربتُ معه! كم عانيت من أجل أن أكون معه! الآن كرهت سذاجتي، وغبائي، كرهت قراراتي الخاطئة، ووقوعي بين رجلين، أثبت كل منهما أنه لا يستحق نظرة من عيني. إن عدتُ بالزمن للخلف، سأنظر إلى يحيى نظرة عابرة، وأمضي في حياتي،

وأثبت ما تريده أمي بأنني أفضل من أي رجل، لكن الآن سأثبت لها، نظرت إلى مكان اختفاء يحيى، وقررت أن أنساه كأنه لم يكن، وأن أنظر إلى مستقبلي؛ لأثبت لجميع الرجال أن المرأة ليست جنسًا فقط بل إنها كل المجتمع.

حرية

-21-

جالسة أنا في الظلام، في ركن من أركان الغرفة، بعدما أصبحت تلك البقعة مكاني المفضل بعد شهرين من الجلوس به، وأنا أضم ركبتي إلى صدري، وأجهش في البكاء اشتياقًا، لم يكن الوضع كالشهرين الماضيين، كنت جالسة في هذا الركن، وأنا صامتة، لا أبكي، ولا أصرخ، كان وجهي يملؤه الذهول، وأنا أنظر إلى يدي التي تمر على رحمي بهدوء، في محاولة تهدئة نفسي، وتهدئة ذلك الطفل في أحشائي، فقد علمت منذ ساعتين أنني أحمل طفلاً في شهرين، لا ذنب له سوى أن أمه امرأة لم تبلغ العشرين من عمرها بعد، يُطلق عليها فاجرة؛ لأنها هربت من بيت أهلها، في محاولة للحفاظ على ما تبقى منها؛ لتبدأ به حياة جديدة، لكن ماضيها لا يريد أن يتركها أبدًا، فبعد جميع محاولاتها لنسيان ذلك الماضي الأسود، ما زال يلاحقها باستماتة.

*****

خرجت من شرودي، ونظرت إلى يدي مرة أخرى، وأنا أفكر أن أتخلص من الطفل، طفل ذلك الحقير، فارس، ولكنه طفلي أنا أيضًا، وكيف أتخلص منه وهو جزء مني؟! فكيف أقتله بيدي؟!

جاء في بالي الكثير من الأسئلة التي لا أعرف لها ردودًا، ولكني أريد ذلك الجنين، فهو عائلتي الوحيدة الآن، فقررت أن أنادي فرح من الخارج، فهي كانت منشغلة بإعداد العشاء من أجلنا، فبعدما قررنا ألا نسكن في المدينة؛ كي لا يجدني أحد من أسرتي، ونسكن سكنًا خارجيا نستأجره معًا.

فقمنا بتوزيع الأعمال المنزلية علينا جميعًا، ناديت بصوت مكتوم: فرح، جاءت مسرعة لترى ما حدث.

-اجلسي بجواري في هذا الركن.

-نعم.

-فقط اجلسي.

- ماذا حدث؟

-فرح، أنا حامل.

نظرت إلى وجهي بذهول، محدقة بعيني، كمن أصابته الصاعقة، خفضت نظرها ببطء؛ لتصل إلى يدي الموضوعة على موضع الرحم، ثم هلعت!

-ياإلهي! ياإلهي! ماذا سنفعل الآن؟! هل ستتخلصين من الجنين أم لا؟ هل ستخبرين فارسًا؟ ماذا ستفعلين؟ أخبريني.

-اهدئي؛ كي نستطيع التفكير معًا.

حاولت السيطرة على أعصابها، وعادت؛ لتجلس بجواري مرة ثانية، بعد تحركها المستمر في الغرفة يمينًا ويسارًا، بعدما هدأت قليلاً سألتني:

أولًا: هل ستحتفظين بالجنين أم لا؟

-لقد قررت أن أحتفظ به.

-وفارس؟

-لا أريد أن أسمع عنه مرة أخرى، لن يعرف بوجود الجنين.

-حرية: هذا الجنين سيكون مسئولية كبيرة على عاتقك، أنا أعرف أنك تعملين طول النهار من أجل المال، وتكتبين ليلاً؛ للوصول إلى حلمك، وبوجود طفل، ستتحول حياتك إلى جحيم أكثر مما هي عليه الآن.

-سأتحمل ذلك الجحيم من أجل طفلي، لقد أصبح هو سبب حياتي الآن.


حرية

-22-

-نضال نضال.

-نعم يا أمي.

-هيا لقد تأخرنا.

- ثوان قليلة فقط،

-الحقني إذًا.

استقللت المصعد، وضغطت على زر الطابق الأول، وفي الدور السادس، توقف المصعد، ودخلت جارتي أميرة.

-أهلًا ياحرية كيف حال نضال؟

-الحمد لله تركته بالأعلى؛ ليرتدي حذاءه ويلحق بي.

- أهنئك على حلقة الأمس، كانت رائعة بكل المقاييس.

-أشكرك للغاية، وانتظري حلقة اليوم، وأخبريني، ما رأيك بها؟

وخرجت من المصعد، خطوت إلى الأمام، وأنا أرتدي صندلًا أسود، وبلوزة بيضاء، تصل إلى عنقي، صعدت إلى السيارة، ووضعت المفتاح بها، وانتظرت وصول نضال بشعره الأسود المسترسل بنعومة، وعينيه العسليتين، فمه الصغير، وجسده النحيل، الملائم لسنه، ثماني سنوات.

*****

تأخر في النزول، فأسندت رأسي إلى مقعد السيارة، وأغمضت عيني، ورجعت بالزمن إلى الوراء منذ تركني يحيى بمفردي، لا حول لي ولا قوة.

كم تعذبت في تلك الفترة! إلى أن جاء نضال، وجمع فرح العالم؛ ليستقر في عينيه؛ ليعوضني عما فاتني من سعادة.
عندما رأيت نضالًا للمرة الأولى، قررت أن أعيش له، وبه فقط، وأن أملك مستقبلًا تحسدني عليه جميع النساء، وأتفوق بجدارة على الرجال.
كنت أعمل بجهد نهارًا، وأكتب ليلاً، حتى وصلت إلى ما أنا عليه الآن.
حرية يوسف، الكاتبة المشهورة، والمذيعة في أكبر القنوات الفضائية.
ماذا حدث ليحيى؟ أصبح لا أحد يذكر .
شخص نال ما يستحق، فتاة عذراء، تحب غيره، أصبحت له جسدًا، ولغيره، ولغيره الاثنين معا قلبًا وجسدًا.
أما بالنسبة إلى فارس فقدْ فَقَدَ عقله من بعدي، أصبح كائنًا لا حاجة له، ونلت أنا انتقامي بجنونه هذا.
لكني لا أبالي سوى بنضال، ومستقبلي وما أحلى الحياة بلا رجل يعكر صفوها!



لا أستطيع أن أفكر بأن جسدي وجمالي سيكون لرجل خاضع لمجتمع شرقي، لا يرى في المرأة إلا جسدها الذي يسبه في النهار، ويركع أمامه ليلًا، لا يريد إلا امرأة جاهزة لخدمته دائمًا، متاحة له في الفراش متى شاء، حتى إن لم يكن لديها رغبة فيه لأي سبب كان.

رغم أن الحرية لم تخلق إلا من أجلي أنا، الأنثى المقيدة في مجتمعنا الشرقي، بحكم العادات، والتقاليد البالية، فكيف تريد قمع أنثى؟! وكيف تريد مني أن أتقيد بسلاسلك والحرية أنثى! والثورة أنثى! وأنت لم تأتِ إلى هذه الحياة إلا من رحم أنثى، وستكبرها وأنت في أحضان أنثى، فكيف تطلب مني أن أموت تحت قدميك وأنا الحياة!



